كتاب التحف والهدايا

تأليف

أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي
(المتوفى: نحو ٣٨٠هـ)

أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي
(المتوفى: ٣٧١هـ)

الكتاب: كتاب التحف والهدايا

الكاتب: أبو بكر مُحَمَّد بن هاشم الخالدي، أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي

الطبعة: ٢٠٢٢

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة - جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www. bookapa.com **E-mail: info@bookapa.com**

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

الخالدي ، أبو بكر مُحَمَّد بن هاشم. الخالدي، أبو عثمان سعيد بن هاشم

كتاب التحف والهدايا/ أبو بكر مُحَمَّد بن هاشم الخالدي، أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

١٦٣ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولي: ٤ – ٣٨٣ – ٩٩١ – ٩٧٧– ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ٢٣٧١٣ / ٢٠٢١

كتاب التحف والهدايا

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

فاتحة الكتاب

"إن هذان لساحران، يغربان بما يجلبان، ويبدعان فيما يصنعان .." أبو منصور الثعالبي"

بسم الله الرحمن الرحيم

خصك الله بتحف إحسانه، ومنحك من هدايا امتنانه، وأجزل من الخير قسمك، ووفّر من اليمن سهمك، وأطال للمجد بقاك، ولأهل الرجاء نعماك، في دولة تغض عيون الخطوب، ورتبة تخرس لسان العيوب، ولا زلت للأدب معقلاً، ولأهله موئلاً؛ يصبحهم تطولك، ويغبقهم تفضلك. ما امتد العصران، وترادف الملوان.

وبعد، فإنك – أدام الله عزك – أمرتنا، لا زال أمرك نافذاً ونهيك مطاعاً: أن نختار لك بعض ما قيل في التحف والهدايا من النظم والنثر، وأن نتجنب ما لا معنى فيه، ولا فضيلة له، وأن نختصر ذلك، ونحذف فضوله، فبادرنا إلى ما أمرت، وسارعنا إلى ما رسمت، لنوفي الخدمة حقها، ونعطيها قسطها.

والشعر – أدان الله عزك – في هذا المعنى كثير الضروب، متشعب الفنون، غير أنه قليل في أشعار المتقدمين، موجود في

أقاويل المحدثين.

ووجدنا – أيدك الله_ سائر ضروبه وجميع فنونه أحدد عشر ضرباً؛ فاخترنا من كل ضرب جيده وألغينا رديه.

واقتصرنا من كل فن على روحه، واطرحنا جسمه، ليكون جميع ما ينضم إليه، وتشتمل أقطاره عليه من الشعر والأخبار، والنوادر والآثار، عيناً تبهج القلوب، ولا تمجها الآذان. ورغبنا عما يذكره مصنفو الكتب من تفضيلها وتقريظها لأن كتابنا يصف نفسه ويبين عن محله، ولأنه يزف من سمعك إلى بعل كفى، ويرد من معرفتك إلى بحر من لجى. ونرجو أن يقع من قبلك – أيدك الله – بحيث أملنا، ومن رأيك بحيث توخينا. ولله القوة و[به] المعونة.

ذكر الأبواب التي نودعها الكتاب

الباب الأول – في ذكر من أهدى هدية معها شعر.

الباب الثاني – في ذكر من أهديت إليه هدية فشكر عنها بشعر.

الباب الثالث – في ذكر من استدعى الهدية بشعر.

الباب الرابع – في ذكر من استدعى الهدية بغير شعر.

الباب الخامس – في ذكر شيء من أخبار الهدايا.

الباب السادس – في ذكر من ذم ما أهدى إليه بنظم أو نثر.

الباب السابع – في ذكر من أستهدى شيئاً فمنع منه أم مطل به فذمه واستبطأ بشعر.

الباب الثامن – في ذكر من لم يقبل الهدية ترفعاً وردها تنزهاً.

الباب التاسع – في ذكر شيء من أشعار من قصرت يده عن الهدية فاقتصر على الدعاء واعتمد على الثناء.

الباب العاشر – في ذكر شيء من هدايا ملوك الأطراف [للسلطان] وكتبهم إليه.

الباب الحادي عشر – في ذكر هدايا النوكى وتحف المتخلفين.

الباب الأول

في ذكر من أهدى هدية معها شعر

حدثنا أحمد بن أبي خالد قال: أهدى الرقاشي إلى يزيد ابن مزيد سيفاً موصوفاً بالعتق والجودة وكتب معه:

بعثت ما أنت به أولى ... إليك يابن الشرف الأعلى

سيفاً رقيق الحد تعلو به ... هان العدى راحتك العليا

أنت تراه مقة نعمة ... كما أراه بغضة بلوى

وهو حرام قبل ذا أن يرى ... للعبد ما يصلح للمولى

وقد أخذ هذا المعنى يعقوب التمار فقال، وقد أهدى إلى مُحَمَّد بن عبد الله بن طاهر بازياً في يوم عيد:

قل للأمير الذي يداه ... قد صيغتا من ردى وجود

ما كان من حاجة الموالى ... فهو حرام على العبيد

ومع رسولي إليك باز ... أبرش ذو مخلب حديد

جعلته تحفة لعيد ... لاقاك بالطالع السعيد

ومثل هذا ما حدثناه الصولي عن يزيد بن مُحَمَّد المهلبي أن الحريري أهدى إلى المتوكل فرساً وكتب معه:

يا أمـــــــــــــين الله في الأر ض وللخلـــــــــق إمـــــــام

ملـــك مـــا يصـــلح للمـــو لى علـــى العبـــد حـــرام

ولـــدى عبـــدك مـــن طـــو لـــــك آلاء جســـــام

وكميـــت اللـــون تحكـــى لـــون عطفيـــه المـــدام

قلـــق العـــذر يغـــنى بـــين لحييـــه اللجـــام

فـــإذا رام صـــهيلاً زمـــر الشـــيخ "زنام"

فتطـــول بقبـــول الـــط رف مـــنى والســـلام

وقريب من هذا ما يروى أن بعض من كان في جملة أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي أهدى إليه سيفاً وكتب معه:

قـد بعثنـا إليـك قـدح المعـالي ورسـول الآمـال والآجـال

وحـرام علـى العبيـد إذا مـا ملكـوا مـا تخيرتـه المـوالى

وما نعرف في هذا المعنى بعينه غير ما ذكرنا، وبيتاً آخر في أبيات نحن نثبتها في حبر حدثناه جحظة البرمكي قال: كان أوكد الأسباب في قتل عمي جعفر بن يحيى البرمكي وزوال النعمة عن أهله أبياتاً عملها بعض الشعراء لما بنى جعفر داره "بباب الشماسية" وألقاها في القصص، فوقعت في يد الرشيد وقد جلس للمظالم، فلما قرأها تغير وجهه، وأعاد النظر فيها مرات، ثم ختمها، ودفعها إلى بعض خدمه وأمره بحفظها، فكان يدعو بها في كل يوم، وينظر فيها ويعيد ختمها، ويدفعها إلى الخادم إلى أن أوقع بالبرامكة، ثم أظهر ما فيها، وكانت:

قـــل لأمـــين الله في خلقـــه ... ومـــن إليـــه الحـــل والعقـــد

هـذا ابـن يحـيى جعفـر قـد غـدا ... مثلـــك مـــا بينكمـــا حـــد

أمـــرك مـــردود إلى أمـــره ... وأمـــره لـــيس لـــه رد

ونحـــن نخشـــى أنـــه وارث ... ملكـــك إن غيبـــك اللحـــد

وقـــد بـــنى الـــدار الـــتي مالهـــا ... شـــبه علـــى الأرض ولا نـــد

مـــا بنـــت الفـــرس نظـــيراً لهـــا ... كـــلا ولا الـــروم ولا الهنـــد

وجـــدك المنصـــور لوحلهـــا ... لمـــا اطبـــاه قصـــره "الخلـــد"

الـــدر واليـــاقوت حصـــباؤها ... وتربهـــا العنـــبر والنـــد

ســـاواك في الملـــك فأبوابـــه ... آهلـــة يعمرهـــا الوفـــد

ومـــا يبـــاهي العبـــد أربابـــه ... إلا إذا مـــا بطـــر العبـــد

البيت الأخير من هذه الأبيات معكوس قول الحريري:

ملـــك مـــا يصـــلح للمـــو ... لى علـــى العبـــد حـــرام

وحدثنا أبو الفرج قدامة بن جعفر قال: أهدى الأخيطل الأهوازي إلى ابن حجر في يوم نوروز وردة، ويهماً، ودیناراً، ودرهماً، وهذه الأبيات:

قل لابن حجر ذي السماح الخضرم ... لا زلـــت كـــالورد نضـــير الميســـم

ونافـــذاً مثـــل نفـــاذ الأســـهم ... في عـــز دينـــار، ونجـــح درهـــم

وحدثنا جحظة قال: حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال: كان أبي قد ربى جارية من أكمل الجواري جمالاً وظرفاً وأدباً وصنعة، واتصل خبرها بالأمين، فتطلعت نفسه إليها، وخشي أن يكوم إبراهيم قد دنا منها،

وعلم أبي بذلك فأنفذها إليه في عقب كلام جرى له معه، وعليها قميص وشى، مكتوب على ذيله بذهب:

لا والـــذي تســـجد الجبـــاه لـــه ... مـــا لي بمـــا تحـــت ثوبهـــا خـــبر

ولا بفيهـــــا ولا همـــــت بـــــه ... مـــا كـــان إلا الحـــديث والنظـــر

فردها ولم يقبلها، فردها إليه ومعها عود من عود هندي، قلما نظرت إلى الأمين غنت:

هتكـــت الضـــمير بـــرد اللطـــف ... وكشـــفت هجـــرك لي فانكشـــف

فـــإن كنـــت تحقـــد شـــيئاً مضـــى ... فهـــب للخلافـــة مـــا قـــد ســـلف

فقبلها منه ورضى عنه.

وحدثنا أبو النضر بن أسباط المصري: أهدى المريمي إلى أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون في يوم عيد مرآة وكتب معها

ولمـــا أتـــى عيـــد عليـــك مبـــارك ... تقابـل فيـه طـالع السـعد لا النحس

ولم أرض مـــدحي وحـــده لـــك تحفـــة ... وإن كـــان وشـــياً لا يـــدنس باللـــبس

بعثـت بأخـت البـدر والشـمس والـتي ... رأيت لها فضلاً على البدر والشمس

بأحســـن مـــرآة لأحســـن طلعـــة ... غدت طينة للمجد في صورة الإنس

مكشـفة سـتر العمـى عـم ذوى العمـى ... ومنطقـة في وصـفها ألسـن الخـرس

بحـــيرة نـــور موجهـــا متـــدافعٌ ... ولـيس لهـا غـير التـألق مـن حـس

لهـــا نـــور إفرنـــد ورونـــق جـــوهر ... يكـــدره أدنى التـــنفس واللمـــس

صفت واستوت بالماء والنار واكتست من اللين ثوباً وهي كامنة اليبس
أتتك محلاة تزف كأنها عروس توافى بعلها ليلة العرس
ولم أهدها إلا ونفسي تحبها ولكن نفسي آثرتك على نفسي

وأهدينا إلى أبي الفوارس سلامة بن فهد منثوراً من بستان في دارنا، وقد تقدم وقته وكتبنا معه:

يا بن فهد وأنت من ترانا في المعالي نرى له من ضريب
زعم الزهر أنه كسجايا ك شبيه في حال حسن وطيب
فأريناه أنه يكذب الدع وى فلم يلتفت إلى التكذيب
فبعثنا به إليك لتلقا ه بتصديق قولنا من قريب

وحدثنا نصر بن أحمد الخبزأرزي البصري قال: أهديت إلى ابن يزداد وهو يتقلد البصرة فصاً حسناً وكتبت معه:

أهديت ما لو أن أضعافه مطرح عندك ما بانا
كمثل "بلقيس" التي لن يبن إهداؤها عند "سليمانا"
هذا امتحان لك إن ترضه بان لنا أنك ترضانا

حدثنا القاضي التنوخي قال: أهدى إلي نصر بن أحمد الخبزأرزي سبحة سبج وكتب معها:

بعثت يا بدر بني يعرب بسبحة من سبج معجب
يقول من أبصرها طرفه نعم عتاد الخائف المذنب
لم تحظ إن فكرت في نظمها ولونها من حمة العقرب

وأهدى بعض الشعراء إلى رجل جليل ثوباً طريفاً وكتب معه:

هـــــذي هديـــــة واثـــــق بمكانـــــه مـــــنكم مـــــدل

يرنـــــو لمقلـــــة معظـــــم لـــــك عـــــن هديتـــــه مجـــــل

والظـــرف كـــل الظـــرف مـــن ك قبـــول ألطـــاف المقـــل

وحدثنا جحظة قال: حدثني عبد الله بن أحمد بن حمدون النديم عن أبيه قال: غزونا مع المأمون والمعتصم بلد الروم فأهدى إلينا مُحَمَّد بن عبد الملك الزيات ونحن بالبذندون شراباً عتيقاً عراقياً وكتب معه هذه الأبيات:

مـــا إن تـــرى مثلـــي فـــتىً أنـــدى يـــداً وأعـــم جـــوداً

أســـقى الصـــديق ببلـــدة لم يـــرو فيهـــا المـــاء عـــوداً

صـــفراء صـــافية كـــأن علـــى جوانبهـــا العقـــودا

فـــإن اســـتقل بشـــكرها أوجبـــت بالشـــكر المزيـــدا

خـــذها إليـــك كأنمـــا كســـيت زجاجتهـــا فريـــدا

فاجعـــل عليـــك بأن تقـــو م بشـــكرها أبـــداً عهـــوداً

وأهدى علي بن العباس الرومي إلى بعض الرؤساء دواة سوداء محلاة بذهب وكتب إليه:

قـــد بعثنـــا إليـــك أم المنـــايا والعطـــايا زنجيـــة الأحســـاب

قـــد تحلـــت بصـــفرة وكـــذا الـــزن ج تحلـــى شـــكلاً بصـــفر الثيـــاب

في حشـــاها بغـــير حـــرب حـــراب هـــن أمضـــى مـــن مرهفـــات الحـــراب

قال: وأهدى أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع نعلاً وكتب معها:

نعل بعثت بها لتلبسها ... تمشي بها قدم إلى المجد

لو كان يصلح أن أشركها ... خدي جعلت شراكها خدي

حدثنا النوبختي قال: افتصد المتوكل فقال لخاصته وندمائه: أهدوا إلي يوم فصدى؟ فاحتفل كل واحد منهم في هديته، وأهدى إليه الفتح بن خاقان جارية لم ير الراؤون مثلها حسناً وظرفاً وكمالاً، فدخلت إليه ومعها جام ذهب في نهاية الحسن، ودن بلور لم ير مثله، فيه شراب يتجاوز الصفات، ورقعة فيها مكتوب:

إذا خرج الإمام من الدواء ... وأعقب بالسلامة والشفاء

فليس له دواء غير شرب ... بهذا الجام من هذا الطلاء

وفض الخاتم المهدي إليه ... فهذا صالح بعد الرواء

فاستطرف المتوكل ذلك واستحسنه، وكان بحضرته يوحنا بن ماسويه فقال له: "يا أمير المؤمنين، الفتح والله أطب مني فلا تخالف ما أشار به".

وأهدى أبو البكر الصنوبري إلى بعض إخوانه شمعاً وكتب معه:

يا أبا عمرو قد اختر ... ت فلم آل اختياراً

وتأملت الهديا ... ت صغاراً وكباراً

لم أجد شيئاً كشيء ... يجعل الليل نهاراً

فتأمل من قريب ... شجراً يحمل ناراً

واكسها منك قبولاً ... تكس مهديها فخاراً

وحدثنا طاهر بن مُحَمَّد الهاشمي الحلبي قال: أهدى الصنوبر إلى أبي شمعاً وكتب معه:

وصفر من بنات النحل تكسي ... بواطنها وأظهرها عوار

عذارى يفتضضن من الأعالي ... إذا افتضت من السفل الجواري

وليست تنتج الأضواء حتى ... تلقح في ذوائبها بنار

كواكب لسن عنك بآفلات ... إذا ما أشرقت شمس العقار

بعثت بها إلى ملك كريم ... شريف الأصل محمود النجار

فأهديت الضياء بها إلى من ... محاسنه تضيء لكل سار

وحدثنا الصولي قال: أهدى ابن المعتز إلى القاسم بن عبيد الله دفتراً وكتب معه:

فدونكه موشى نمنمته ... وحاكته الأنامل أي حوك

بشكل يأخذ الحرف المخلى ... كأن سطوره أغصان شوك

قال: وأهدى نطاحة الكاتب إلى بعض إخوانه دفتراً وكتب معه:

خذه فقد سوغت منه مشبهاً ... بالروض أو بالبرد في تفويفه

نظمت كما نظم السحاب سطوره ... وتأنق الوراق في تأليفه

وشكلته ونقطته فأمنت من ... تصحيفه ونجوت من تحريفه

بستان خط غير أن ثماره ... لا تجتنى إلا بشكل حروفه

قال: وأهدى أبو الجهم أحمد بن سيف إلى بعض إخوانه يوم النوروز شمامة مطيبة وكتب معها:

غـــاداك يـــوم وأي يـــوم قـد حـل فيـه السـرور عقـده

فتحفـة النـاس فيـه شـتى وهـذه تحفـة المـودة

لا زال حـول يحـث حـولاً يفـنى وتعطـى البقـاء بعـده

حـتى تـرى ألـف مهرجـان تلـبس مـن ثوبـه أجـده

وألـف يـوم يكـون فيـه ديـن وهجـر المـدام رده

وأهدى مُحَمَّد بن هاشم الخالدي إلى عمرو بن اصطفن الكاتب مروحة طريفة، وكتب معها:

أيا عمـرو يا بـن العلـى والحسـب ومـن حـل في المنصـب المنتخـب

بعثـت إليـك أطـال الإل هـ عمـرك مـات طـال عمـر الحقـب

بمروحـة راحـة للقلـوب لهـا نسـبان إذا تنتسـب

ففـي سـعف النخـل نخـل النبـيط وفي خيـزران غيـاض العـرب

عليهـا الحـداد كمهجـورة رمتهـا عشـيقتها بالغضـب

منافعهـا أبـداً جمـة لمالكهـا غـير قـول كـذب

تـرد التشـارين في حمـة مـن القـيظ نيرانهـا تاهـب

وتجعـل سـتراً إذا مـا أرد ت سـراً إلى صـاحب في سـبب

وإن شـئت كانـت قضـيب الأقـاع فـأدت إليـك فنـون الطـرب

وتصـلح للضـرب ضـرب الـدلال دلال الحبيـب إذا مـا عتـب

وتـومى بهـا في عـروض الكـلام إذا مـا احتبيـت لنثـر الخطـب

ومـــن بعـــد ذا كلـــه فاسمـــك ال مبـــارك في ظهرهـــا قـــد كتـــب

وحدثنا جحظة قال: أهدت جارية ظريفة إلى فتى كانت تهواه تفاحة معضوضة مكتوب عليها بذهب:

لـيس هـذا العـض مـن عيـب بهـا إنمـــا ذاك رســـول للقبـــل

فلما صارت إليه كنت إليها:

تفاحـــة جاءتـــك معضوضـــة قريبـــة العهـــد بكفيهـــا

أكـــرم بهـــا تفاحـــة أشـــبهت حمرتهـــا حمـــرة خـــديها

وحدثنا أبو جعفر مُحَمَّد بن أحمد القمي الكاتب قال: أهدى أبو الغمر الطبري إل الحين بن زيد الراعي إلى الحق في يوم نوروز سهمين، ومعهما هذان البيتان:

أهـديت للـداعي إلى الحـق سـه مـي فتـوح الغـرب والشـرق

زجاهمـــا النصـــر وريشـــاهما ريشـــا جنـــاحي طـــائر الســـبق

وحدثنا أيضلً قال: كان في ناحية كاتب للصفار شاعر ظريف؛ وكان الكاتب كريماً أديباً فأهدى إليه بعض أصحابه في يوم النوروز هدايا جليلة. وكان ذلك الشاعر مملقاً فطالبه بالهدية فذكر إملاقه، فقال له: "دع عنك هذا لا بد أن تهدى إلي شيئاً" قال: "أفعل". وانصرف فابتاع ورداً كثيراً أحمر وأهداه إليه وكتب معه:

أتاك مـــن النـــوروز يـــوم مبـــارك وعيـد علـى الـدنيا أعـد لنـا فخـراً

فأهـديت فيـه الـورد غضـاً كأنـه خـدود جـواري الـروم شـاربة خمـرا

فبـــاكر بهـــا كأســـاً مـــداماً كأنمـــا تـــدير يـــد الســـاقي بـــه قمـــراً بـــدراً

تزيـــل مقـــام الهـــم عـــن مســـتقره وتمنعـــه العتـــبى وتســـتعبد الـــدهرا

فلما قرأ الأبيات استحسنها وأمر أن يصرف جميع ما أهدى إليه في النوروز إلى هذا الشاعر وكانت هدايا جليلة فوصلت كلها له.

وحدثنا الصولي قال: أهدى مُحَمَّد بن بشر إلى أحمد بن يوسف الكاتب قارورة فيها دهن الحماحم وكتب معها:

هـو دهـن الحمـاحم الطيـب الـنش ر كـــأرواحكم إذا كـــان صـــرفاً

إن ظرفـــاً هـــديتي لـــك هـــذا وإذا مـــا قبلتـــه ازددت ظرفـــاً

فقبلها أحمد بن يوسف كتب إ ليه:

قـــد أتانا دهـــن الحمـــاحم صـــرفاُ مرحبـــاً بالحمـــول ألفـــاً وألفـــاً

دهنـــة لـــو تشـــمها جـــنح ليـــل قلـــت إلـــف مخـــاطر زار إلفـــاً

وحدثنا أبو مُحَمَّد الحسن بن مُحَمَّد المهلبي قال: أهدى أبو الحسين بن أبي البغل الكاتب إلى علي بن عيسى في أيام وزارته أقلاماً، وكتب معها:

عبـــدك أهـــدى إليـــك أقلامـــاً زنجيـــة اللـــون ناســـبت جامـــا

وجـئن طوعـاً إليـك مـن بلـد ال كفـــر لكـــي يســـتعدن إســـلاما

حـــائرة في ســـبيل كـــل هـــدى تكـــون للحـــائرين أعلامـــا

زارتـــك شـــوقاً إلى بنانـــك كـــي تحـــدث نقضـــاً لهـــا وإبرامـــاً

فتخـــدم الملـــك حـــين تخـــدمها وســـطى وســـبابة وإبهامـــا

معـــدة للخطـــوب إن دهمـــت تـــبرى فتـــبرى الأكـــف وإلهامـــا

إذا تناولـــت للعـــدى قلمـــا منهـــا بـــذذت الليـــوث إقـــداما

تبصـــره العـــين مفصـــحاً وتعيـــه ال أذن عنـــد الكـــلام نمنامـــا

كأنـــه مبـــدياً عجائبـــه ليـــل يـــرى النـــائمين أحلامـــا

كـــأن في صـــدره لمعملـــه رمحـــاً وفي الـــردف منـــه صمصـــاما

وحدثنا أيضاً قال: أهدى إلي بعض إخوانه بغلة معها هذه الأبيات على طريق المجون لأنه يعرف بابن أبي البغل، فذكر أن البغلة من نسلهم، ويرمي الذي أهداها إليه أنه ينال منها وطراً، وكانت الأبيات:

تخيرتهـــا لـــك مـــن نســـلنا وكنـــت لهـــا واليـــاً كافيـــا

فهنيتهـــا راكبـــاً في المـــلا ومتعـــت خلوتهـــا خاليـــا

لعلـــك تـــرزق منهـــا فـــتى يكـــون لنمـــا ســـيداً كاليـــا

فيكســـب أعمامـــه مفخـــراً وأخوالـــه شـــرفاً عاليـــا

حدثنا أبو سوادة الحاسب قال: حدثني عبد الرحمن بن أحمد الكاتب العبرناني قال: كنت أكتب لسليمان بن عبد الله بن يحيى بن معاذ فأتيت يوماً بمرماحوز فبعثت إليه منه شمامة في مكبة مختومة وكتبت معها:

لم تـــر مســـكاً قبلـــه نابتـــاً يـــنفح مـــن فـــرع ومـــن أصـــل

يـــرى لكـــل البيـــت في جنبـــه مذلـــة الهجـــر مـــع الوصـــل

مـــن ذاك وكلـــت بـــه خاتمـــاً يمنعـــه مـــن شمـــة الرســـل

وأهدى علي بن الجهم إلى بعض إخوانه كلباً وكتب معه:

أوصيك خيراً به فإن له ... عندي يداً لا أزال أحمدها

يدل ضيفي علي في غسق الل ... يل إذا النار نام موقدها

وحدثنا أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب قال: أهدى أحمد بن يوسف الكاتب إلى المأمون، في يوم نوروز، هدية جليلة القدر، وكتب معها:

على العبد حق فهو لا بد فاعله ... وإن عظم المولى وجلت فضائله

ألم ترنا نهدي إلى الله ماله ... وإن كان عنه ذا غنى فهو قابله

ولو كان يهدي للمليك لقدره ... لقصر فضل المال عنه وباذله

ولكننا نهدى إلى من نعزه ... وإن لم يكن في وسعنا ما يعادله

وقال: وأهدى عبد الرحيم بن أحمد بن يزيد ين الفرج إلى عمه دواة وكتب معها:

لم تر سوداء قبلها ملكت ... نواظر الخلق والقلوب معا

كأنما الليل حاك رونقها ... فكان طباً بنسج ما صنعا

لا الطول أزرى بها ولا قصر ... لكن أتت والبهاء مجتمعا

تريك جنحاً من الظلام لها ... وبارقاً بائتلافها لمعا

وحدثنا الخباز البلدي قال: أهديت إلى بعض العمال نبيذاً وكتبت معه:

أستاذنا والذي نؤمله ... للدهر من كل ما يحاذره

لهذا نبيذ رايته حسناً ... مستعذباً يرتضيه خابزه

أحببـــت أن أوثـــر الـــرئيس بـــه مـــن دون نفســـي ومـــن أعاشـــره

وإن عـــــذري في فـــــرط قلتـــــه باطنـــــه واضـــــح وظـــــاهره

إذ كـــان هـــذا الـــذي بعثـــت بـــه أول مـــــا عنـــــدنا وآخـــــره

وأهدى بعض إخواننا إلى صديق له سكينا عليها طائر مذهب، وكتب معها ابياتاً منها:

أوقـد الصـقل مـاء إفرنـدها الجـاري فجـــاءت كالنـــار ذات اشـــتعال

جـــو نـــور لم تخلـــه بدعـــة الصـــن عـــة مـــن طـــائر بـــديع المثـــال

عـــام في لؤلـــؤ ولكنـــه قـــد قـــام فيـــه مـــذهب الســـربال

الباب الثاني

في ذكر من أهديت إليه هدية فشكر عنها بشعر

حدثنا الصداني قال: أهدى مُحَمَّد بن علي القمى إلى البحتري غلاما فاشتغل به أياما عن حضور مجلسه، فكتب إليه مُحَمَّد:

هجرت كأن الوصل أعقب هجرة ... وما خلت وصلا قبلها أعقب الهجرا

فأجاب البحتري:

فتى مذحج عفوا فتى مذحج غفرا ... لمعتذر جاءت إساءته ترى

أتاني قريض منك يحدوه نائل ... فأنطقني جودا وأفحمني شعرا

وأكسبني شغلا عن الوصل شاغلا ... تعاتبني فيه وتعتده هجرا

فإن كنت مشغوفا بقربي آنسا ... بشخصي فلم خولتني ذلك البدرا؟

وما هو إلا درة لم أجد لها ... سوى جودك الأمسى إذ برزت نحرا

حملت عليه في سبيل فتوة ... هي الثغر خلف المجد بل تفضل الثغرا

وجدت نداك اليوم ألطف موقعا ... ود كنت لي خلا فأصبحت لي صهرا

قال وأهدى إليه عبد الله بن السحين بن سعد القطربلي نبيذا أصفر في إناء زجاج أزرق فكتب إليه البحتري شعرا منه هذه الأبيات:

حبذا أنت من منمم بر ... يفرج الهم أو معظم رفد

طرقتنـــا تلـــك اهديـــة والصـــه باء مـــن خـــير مـــا تبرعـــت تهـــدي

لبســـت زرقـــة الزجـــاج فجـــاءت ذهبـــــا يســـــتنير في لازورد

قال: وأهدى إليه مُحَمَّد بن علي القمي نبيذا مع غلام حسن الوجه، فجمشه البحتري، وكتب معه إلى صاحبه هذه الأبيات:

أبا جعفـــــر كـــــان تجميشـــــنا غلامـــك إحـــدى الهنـــات الدنيـــة

بعثـــت إلينـــا بشـــمس المـــدا م تضـــيء لنـــا مـــع شمـــس البريـــة

فليـــت الهديـــة كانـــت رســـولا وليـــت رســـولك كـــان الهديـــة

فوهب له الغلام لما قرأ الأبيات.

وحدثنا البرمكي عن أبي هفان قال: أهدى أحمد بن يوسف الكاتب إلى أبي الزرقاء الشاعر دابة، فكتب إليه أبو الزرقاء:

أيهـــــا الســـــيد الـــــذي شـــــــــرفته أرومـــــــــــه

قـــــد بعثـــــت الجـــــواد لي فعلـــــى مـــــن قضـــــيمه؟

فوقع على ظهر رقعته: "قضيمه على مهديه ما دام حيا فإن نفق أخلفنا عليك غيره".

قال: واستهدى بعض الشعراء من صديق له يكنى أبا العباس خطرا فلم يسعفه بما طلب، فكتب على معن بن زائدة وهو يتقلد بلاد اليمن يطلب منه ذلك فأنفذ إليه جراب خطر وفيه ألف دينار، وكتب إليه أن اختضب بالخطر، وانتفع بنخالته، فقال:

إذا مـــا أبـــو العبـــاس ضـــن بخطـــره كتبنـــا إلى معـــن فأهـــدى لنـــا خطـــرا

وأهـــدى دنانـــيرا وأهـــدى دراهمـــا وأهـدى لنـا بـزا وأهـدى لنـا عطـرا

فبلغ البيتان "معنا"، فوجه إليه ألف دينار ثانية وألف درهم وسفط بز وعتيد عطر.

وحدثنا البرمكي عن أبي هفان قال: وعد عبد الصمد بن المعذل خالي مسلمة بن مهزم غلاما يهديه إليه ثم أهدى إليه جارية فكتب إليه:

قـــــد لعمـــــري يا أبا القـــــا ســـــم ملحـــــت الرســـــالة

قلـــــت لي: أرســـــل ظبيـــــا ثم أرســـــــــلت غزالـــــــــة

قال: أهدى أبو القاسم التنوخي القاضي ﷺ إلى طيلساناً فكتبت إليه:

قـد أتي الطيلسـان مسـتوعبا شـك ري في حســـــن منظـــــر ورواء

مـثقلاً عـاتقي وإن كـان في الخـف ة واللطـــف في قيـــاس الهـــواء

تسـرح العـين منـه والقلـب في الآ ل وفي المـــاء والســـنا والبهـــاء

يتلقـــى حـــر الصـــدود يـــبرد ال وصـل والصـيف في طبـاع الشـتاء

يخفـق الـدهر في النسـيم كمـا يفـخ فـــق قلـــب الجبـــان في الهيجـــاء

كـــل جـــزء منـــه يمـــج إلى الأر واح روح المـــنى وبـــرد الوفـــاء

لـــيس فيـــه للنـــار والأرض حـــظ هـــو مـــن جـــوهري هـــواء ومـــاء

زاد في همـــتي ونفســـي وتأمـــي لي علـــــوا وزاد في كبريائـــــي

فكـــأني إذا تبخـــترت فيـــه قـد تطيلسـت نصـف بـدر السـماء

قال: وأهدى الحسن بن وهب على أبي تمام غلاما جميلاً فكتب إليه:

قد جاءنا الرشأ الذي أهديته ... خرقا ولو شئنا لقلنا المركب

لدن البنان له لسان أعجم ... خرس معانيه ووجه معرب

يرنو فيثلم في القلوب بطرفه ... ويعن للنظر الحرون فيصحب

قد صرف الرانون خمرة خده ... وأظنها بالريق منه ستقطب

وأهدى إليه ثياباً، فكتب إليه:

قد كسانا من كسوة الصيف قرم ... مكتس من مكارم ومساع

حلة ذات رونق ورداء ... كسحا القيض أو رداء الشجاع

كالسراب الرقراق بالقفر إلا ... أنه ليس مثله في الخداع

سابري يسترجف الريح متني ... هـ بأمر من الهبوب مطاع

رجفانا كأنه الدهر منه ... كبد الصب أو حشا المرتاع

لازماً ما يليه تحسبه جز ... ء من المتنين والأضلاع

يطرد اليوم ذا الهجير ولو شب ... هـ في حره بيوم الوداع

خلعة من أغر أروع رحب الصد ... ر رحب الفؤاد رحب الذراع

سوف أكسوك ما يعفى عليها ... من ثناء كالبرد برد الصناع

حسن هاتيك في العيون وهذا ... حسنه في القلوب والأسماع

وأهدى بعض الرؤساء إلى صالح الديلمي ثيابا فكتب إليه صالح:

كسوت من تملكه كسوة ... جاءت إلى ملكك من ملككا

صـــــنيعة أعطـــــى نســـــاجها أنمـــوذج الرقـــة مـــن وجهكـــا

فهـــي مـــن الحســـن ترينـــا الـــذي يعرفـــه الزائـــر مـــن بشـــركا

طويلـــــة في عرضـــــها فضـــــلة كأنمـــا مـــرت علـــى صـــدركا

أظنهـــا مـــن قبـــل إهـــدائها مرغهـــا الخـــازن في خلقكـــا

فنشـــرها في وقـــت نشـــرى لهـــا أذكـــى علـــى الأنـــف مـــن نـــدكا

وأهدى الحسن بن وهب إلى أبي تمام فرسا رائعا، فكتب إليه أبو تمام شعرا يقول فيه:

نعـــم متـــاع الـــدنيا حبـــاك بـــه أروع لا حيـــــدر ولا جـــــبس

اصـــفر منهـــا كأنـــه محـــة الـــب يضـــة صـــاف كأنـــه عجـــس

هاديـــة جـــذع مـــن الأراك ومـــا خلـف الصـلا منـه صـخرة جلـس

يكـاد يجـري الجـادي مـن مـاء عـط فيـه ويجـني مـن متنـه الـورس

ضـــمخ مـــن لونـــه فجـــاء كـــأن قـــد كســـفت في أديمـــه الشـــمس

هـــذب في جنســـه فنـــال المـــدى بنفســـه فهـــو وحـــده جـــنس

أحـــرز آباؤه الفضـــيلة مـــذ تفرســـت في عروقـــه الفـــرس

وهـــو إذا مـــا ناجـــاه فارســـه يفهـــم عنـــه مـــا تفهـــم الإنـــس

كـــل ثمـــين مـــن الـــتلاد لـــه غـــير ثنـــائي فإنـــه بخـــس

وأهدى إليه فرسا آخر فقال فيه شعرا، منه هذه الأبيات:

مـــا مقـــرب يختـــال في أشـــطانه مـــلآن مـــن صـــلف بـــه وتلهـــوق

حـــوافر حفـــر وصـــلب صـــلب وأشـــاعر شـــعر وخلـــق أخلـــق

وبشـــعلة تبـــدو كـــأن فلولهـــا في صـــهوتيه بـــدو شـــيب المفـــرق

ذو أولـــق تحـــت العجـــاج وإنمـــا مـــن صـــحة إفـــراط ذاك الأولـــق

تغـــري العيـــون بـــه ويفلـــق شـــاعر في نعتـــه عفـــوا ولـــيس بمفلـــق

صـــلتان يبســـط إن ردى أو إن عـــد في الأرض باعـــا منـــه لـــيس بضـــيق

مسـود شـطر مثـل مـا اسـود الـدجى مبـيض شـطر كابيضـاض المهـرق

قـد سـالت الأوضـاح سـيل قـرارة فيـــه فمفـــترق عليـــه وملتـــق

صـــافي الأديم كأنمـــا ألبســـته مـــن ســـندس بـــردا ومـــن اســـتبرق

يرقـى ومـا هـو بالسـليم ويغتـدي دون السـلاح سـلاح أروع محلـق

في مطلـــب أو مهـــرب أو رغبـــة أو رهبـــة أو مركـــب أو فيلـــق

أمطاكـه "الحسـن بـن وهـب" إنـه داني نـدى اليـد مـن رجـاء المملـق

وحدثنا أحمد بن جعفر البرمكي قال: أهدى سعيد بن حميد الكاتب إلى أبي هفان قارورة من ماء الورد الفارسي فكتب إليه أبو هفان:

بعثتهـــا حاليـــة النحـــر بكـــرا وكـــل الخـــير في البكـــر

ملفوفـــة في حلـــل هـــن مـــن خضـــر ومـــن صـــفر ومـــن حمـــر

تـــزر في الجيـــد ولكنهـــا تجـــر أذيالا علـــى الخصـــر

بيضـــاء في زرقـــاء كـــالش مـس إذ تطلعـت مـن زرقـة الفجـر

كجامـد اليـاقوت أقطـاره مملـوءة مملـــوءة مـــن ذائـــب الـــدر

جـــادت لمـــن ركـــب جثمانهـــا روحهـــــا ســـــيدة الزهـــــر

مـــا حضـــرت والعطـــر في مجلـــس وإلا وكانـــــت ربـــــة العطـــــر

نابـت عـن الـورد كمـا نبـت عـن أبيـــــك في العـــــز وفي القـــــدر

فعـــــاد ذا منهـــــا إلى غصـــــنه وقـــــام ذا عنـــــك مـــــن القـــــبر

إن أنـــت حييـــت بهـــا مســـكة فمثلهـــا الأبيـــات في النشـــــر

ولم يضـــــيع فارســـــي النـــــدى في عـــــربي الحمـــــد والشـــــكر

وحدثنا طاهر بن مُحَمَّد الهاشمي قال: كان أبو بكر الصنوبري صديقاً لوالدي كثير الإلمام به والسلام عليه، وكان والدي محباً له بارا به، وكنت وأنا غلام أميل إليه وأكتب شعره، فأهديت إليه يوما نبيذا ووردا فكتب إلي:

أهـــدى إلي فـــأي حســـن معجـــب أو معـــــوز في غـــــيره لم يهـــــده

الـراح تضـحك عـن عتيـق فرنـدها والـورد يضـحك عـن حـديث فرنـده

فكـــأن حمـــرة ورده مـــن راحـــه وكـــأن نكهـــة راحـــه مـــن ورده

وكـــأن هـــذي تمـــترى مـــن ريقـــه وكـــأن هـــذي تجتـــنى مـــن خـــده

وأهديت إليه نعلاً صفراء فكتب إلي:

بخـير الهـدايا جـدت يا خـير منـتم إلى خـــــير باد في الأنام وحاضـــــر

بمحـــذوة حـــذو اللســـان شـــبيهة أوائلهـــا في حســـنها بالأواخـــــر

مخالفـــة الـــوجهين قـــام خلافهـــا مقـــام اتفـــاق عنـــد أهـــل البصـــائر

فأمـا الـذي مـن فوقهـا وجـه عاشـق وأمـا الـذي مـن تحتهـا وجـه شـاعر

وحدثنا أبو منصور طلحة بن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال: أهديت إلي علي بن مُحَمَّد المعروف بابن طباطبا العلوي الأصبهاني خاتما فصه عقيق حسن، فكتب إلي:

جاءتك إبهامي وسبابتي ... تشكر ما أوليته خنصري

فالتتا في قلم ناطق ... يفصح عن شكرهما المضمر

أعانتا أختهما بالتي ... سطرتا لمدح من أسطر

جزاء ما أوليتها بالذي ... قد زانها من رائق الجوهر

ألبستها فص عقيق غدا ... يزهى على ياقوتها الأحمر

قال: وأهدى أبو جعفر مُحَمَّد بن حميد إلى البحتري فرساً، فكتب إليه البحتري يشكره، ويصف الفرس ويستهديه سرجا ولجاما بشعر يقول فيه:

أما الجواد فقد بلونا يومه ... وكفى بيوم مخبرا عن عامه

جارى الجياد فطار عن أوهامها ... سبقا وكاد يطير عن أوهامه

جذلان تلطمه جوان غرة ... جاءت مجيء البدر تحت تمامه

وأسود ثم صفت لعيني ناظر ... جنباته وأضاء في إظلامه

مالت نواحي عرفه فكأنها ... عذبات أثل مال تحت حمامه

ومقدم أذنين تحسب أنه ... بهما يرى الشخص الذي لأمامه

يختال في استعراضه ويكب في اس ... تدباره ويشب في استقدامه

وإذا التقى الثفر القصير وراءه ... فالطول حظ عنانه وحزامه

لانـــت معاطفـــه فخيـــل أنـــه ... للخيـــزران مناســـب لعظامـــه

في ضـعلة كالشـيب مـر بمفرقـي ... غـز لهـا عـن شـبيه بغرامـه

ومـــردد بـــين القـــوافي يجتـــني ... مـا شـاء مـن ألـف القـريض ولامـه

وكـأن صـهلته إذا اسـتعلى بهـا ... رعـد يقعقـع في ازدحـام غمامـه

وكـــأن فارســـه وراء قذالـــه ... ردف فلـيس تـراه مـن قدامـه

لا شـيء أجـود منـه غـير فـتىً غـدا ... مـن جـوده الأوفى ومـن إنعامـه

وكـأن كـل عجيبـة موصـولة ... تتقسـم اللحظـات في أقسـامه

والطـرف أجلـب زائـر لمؤونـة ... مـا لم يـزرك بسـرجه ولجامـه

حدثنا الأسباطي قال: أهدى بعض بني طولون إلى المريمي في يوم عيد هدية فيها دنانير جدد من ضرب السنة، فكتب إليه المرمي شعرا طويلا، يقول فيه:

لم تـرض نـيلا جـاء يسـبق موعـدا ... حـتى وصـلت النيـل منـك بموعـد

ورأيـت في بـر اللسـان وإن حـلا ... مـذقا إذا لم تبلـه بـر اليـد

فحبـوتني بعيـون وشـي مونـق ... معـه حبـاء مـن عيـون العسـجد

مـن كـل ذي وجهـين لم يقنـع لـه ... في الحسـن صـانعه بوجـه مفـرد

واشـتق مـن لـونين مشـرق لونـه ... مـن أصـفر في أحمـر متوقـد

لا روح فيـه ومـا لـذي روح غـنى ... عنـه ولا صـبر إذا لم يوجـد

مـولى لمكرمـة وعبـد مهيبـة ... وتـرى لـه الأحـرار مثـل الأعبـد

قال: وامتدح عباس الخياط المصيصي علي بن عامر الحلبي، فدفع إليه ديناراً، فقال يشكره:

أبا حسن أصبحت زين الأقارب ودينارك البراق زين المواهب

رأته عيون الحاسدين فخلنه من الحسن في كفي إحدى الكواكب

ليهنك منه أنك الرجل الذي نجوت به من أمهات عقارب

وقال وامتدح أبا عثمان الأموي فدفع إليه دينارا، فقال:

يا عمرو يا مكنى بعثمان أصبح دينارك ذا شان

لما أتى في السبت صرنا به منك إلى معيار وزان

فلم يطق وزانه وزنه حتى وزناه بقبان

وفيه يقول أيضاً:

دينارك الواثقي نحن به نجلو عن العين ظلمة الغسق

إنك يا عمرو حين جدت به جاء على حاجة إلى الورق

حاولت تحريكه فأعجزني ورمت تعييره فلم أطق

حتى حملناه بين أربعة خشن إلى الصيرفي بالوهق

قال: وأهدى ابن يزداد إلى أبي القاسم الخبزأرزي البصري ثيابا وطيبا، ودراهم، ودنانير في بعض الأعياد، فقال يشكره، ويذكر الدراهم والدنانير في شعر طويل:

فأعطيتها تحكي أياديك في الورى بياضا وإن كانت أياديك أنصعا

زواهـــر أوضـــاحا لهـــا أريحيـــة إذا خـامرت خمـر القلـوب تشعشـعا

ومـن بعـدها قـد نلـت صـفرا توقـدت مـن السـبك حـتى صـرن كـالجمر لمعـا

إذا اختلطـــا كـــانا كنـــور وزهـــره زكـــا بهمـــا غـــرس النجـــار فأينعـــا

كأنهمـــا بـــيض الوجـــوه تـــلألأت صـــفاء بتوريـــد الخـــدود مرصـــعا

وأهدى إليه بعض إخوانه وردا في طن آس وكان ذلك في ابتداء الورد، فكتب إليه:

أبـــدعت في كـــل المكـــارم ســـابقا حـــتى لقـــد أبـــدعت في إهـــدائكا

أتحفتـــني بالـــورد قبـــل أوانـــه في قضـــب آس غضـــة كإخائكـــا

فـالورد عـن نفحـات عرضـك مخـبر والآس يخـــبر عـــن دوام وفائكـــا

فاسـلم ونشـر الـورد حسـن ثنائكـا واعمـر وعهـد الآس طـول بقائكـا

الباب الثالث

في ذكر من استدعى الهدية بشعر

حدثنا علي بن العباس النوبختي قال: قال لي البحتري: رأيت عند أبي جعفر مُحَمَّد بن حميد بن عبد الحميد غلاما أعجبني فعملت إليه شعرا أستهديه منه، وأشكو إليه غلمانا كانوا لي أحرارا، فأنفذه إلي، وسمع شعري جماعة من الرؤساء فأهدوا إلى عدة غلمان، والشعر طويل وأوله:

أبكـــاء في الـــدار بعـــد الـــدار وســـلوا بزينـــب عـــن نـــوار

يقول فيه:

قـــد مللنـــاك يا غـــلام فغـــاد بســـلام أو رائـــح أو ســـار

ســـرقات مـــني خصوصـــا فـــإلا مـــن صـــديق أو صـــاحب أو جـــار

أنا مـــن ياســـر ويســـر وفـــتح لســـت مـــن عـــامر ولا عمـــار

لا أحـــب الغـــلام يخرجـــه ال تم إلى الاحتجـــاج بالافتخـــار

وإذا رعتـــه بناحيـــة الســـو ط علـــى الـــذنب راعـــنى بالفـــرار

هـــل بأرض العـــراق يا قـــوم حـــر يشـــتريني مـــن خدمـــة الأحـــرار

أو جـواد بأبـيض مـن بـنى الأصـفر محـض الجـدود محـض النجـار

لم تـــرم قومـــه الســـرايا ولم يغـــزهم غـــير جحفـــل جـــرار

أو خمـــيس كأنمـــا طرقـــوا ... منـــه بليـــل أو صـــبحوا بنهـــار

في زهـــاه "أبـــو ســـعيد" علـــى آ ... ثار خيـــل قـــد حاجزتـــه بثـــار

يتلظـــى كأنـــه لصـــفوف الســـبى ... في جانبيـــــه "ذو الأذعـــــار"

فحوتـــه الرمـــاح أغيـــد مجـــدو ... لا قصـــــير الـــــزنار وافى الإزار

فـــوق ضـــعف الصـــغار إن وكـــل ... الأمـــر غليـــه ودون كيـــد الكبـــار

لـــك مـــن ثغـــره وخديـــه مـــا شـــيء ... ت مـــــن الأقحـــــوان والجلنـــــار

أعجمـــــي إلا عجالـــــة لفـــــظ ... عـــــربي تفـــــتح النـــــوار

وكـــأن الـــذكاء يبعـــث منـــه ... في ظـــلام الخطـــوب شـــعلة نار

يا "أبا جعفـــر" ومـــا أنـــت بالمـــد ... عـــــو إلا لكـــــل أمـــــر كبـــــار

ولعمـــري للجـــود للنـــاس بالنـــا ... س ســـــواه بالثـــوب والـــدينار

وعزيـــز إلا لـــديك بهـــذا الـــف ... خ أخـــــذ الغلمـــــان بالأشـــــعار

* * *

وحدثنا الصولي قال: قال لي ابن المعتز: الذي حداني على قول الشعر, ورغبني فيه أني رأيت البحتري يوماً ينشد الماضي –رحمه الله– شعرا افتن فيه برقة النسيب, وجودة المديح, ثم خرج من ذلك إلى استهداء خاتم ياقوت فأبدع, وأول الشعر:

بـودي لـو يهـوى العـذول ويعشـق ... فـيعلم أسـباب الهـوى كيـف تعلـق

والأبيات التي يستهدى بها الخاتم:

فهـل أنـت يابـن الراشـدين مختمـي ... بياقوتـــة تبهـــي علـــى وتشـــرق!

يغار احمرار الورد من حسن صبغها ... ويحكيه جادى الرحيق المعتق

إذا برزت للشمس قلت تجارتا ... على أمد أو كادت الشمس تسبق

إذا التهبت في اللحظ ضاهى ضياؤها ... جبينك عند الجود إذ يتألق

علامة جود منك عندي مبينة ... وشاهد عدل لي بنعماك يصدق

ومثلك أهداها وأضعاف مثلها ... ولا غرو للبحر انبرى يتدفق

* * *

وحدثنا قال: أهدى مُحَمَّد بن على بن عيسى الأشعري القمي إلى البحتري فرسا رائعا, فكتب إليه البحتري شعرا يمدحه, ويذكر الفرس, ويصفه, ويستهديه سيفاً, وأول الشعر:

أهلا بذلكم الخيال المقبل ... فعل الذي أهواه أم لم يفعل

يقول فيه:

وأغر في الزمن البهيم محجل ... قد رحت منه على أغر محجل

كالهيكل المبنى إلا أنه ... في الحسن جاء كصورة في هيكل

وافى الضلوع يشد عقد حزامه ... يوم الرهان على معم مخول

يهوى كما هوت العقاب وقد رأت ... صيدا وينتصب انتصاب الأجدل

تتوهم الجوزاء في أرساغه ... والبدر فوق جبينه المتهلل

متوجس برقيقتين كأنما ... يريان من ورق عليه موصل

ذنب كما سحب الرداء يذب عن ... عرف وعرف كالقناع المسبل

جـــذلان يـــنفض عـــذرة في غـــرة ... يقـقٍ تسـيل حجـو لهـا في جنـدل

صـــافى الأديم كأنمـــا عنيـــت لـــه ... بصـــفاء نقبتـــه مـــداوس صـــقيل

وكأنمـــا نفضـــت عليـــه صـــبغها ... صـــبهاء "للـــبردان" أو"قطربـــل"

وتخالـــه كُسِـــيَ الخـــدود نواعمـــا ... مهمـــا تواصـــلها بلحـــظ تخجـــل

هـــزج الصـــهيل كـــأن في نغماتـــه ... نـــبرات "معبـــد" في الثقيـــل الأول

ملـــك العيـــون فـــإن بـــدا أعطينـــه ... نظـــر المحـــب إلى الحبيـــب المقبـــل

نفســـي فـــداؤك يا "مُحَمَّد" مـــن فـــتى ... يـــوفى علـــى ظلـــم الخطـــوب فتنجلـــي

قـــد جـــدت بالطـــرف الجـــواد فثنـــة ... لأخيـــك مـــن أدد ابيـــك بمنصـــل

يتنـــاول الـــروح البعيـــد منالهـــا ... عفـــوا ويفـــتح في الفضـــاء المقفـــل

بإنارة في كـــل خطـــب مظلـــم ... وهدايـــة في كـــل نفـــس مجهـــل

مـــاض وإن لم تمضـــه يـــد فـــارس ... بطـــل ومصـــقول وإن لم يصـــقل

يغشـــى الـــوغى فـــالترس لـــيس بجنـــة ... في حـــده والـــدرع لـــيس بمعقـــل

مصغ على حكم الردى فإذا مضى ... لم يلتفـــت وإذا قضـــى لم يعـــدل

متـــألق يـــبرى بأول ضـــربة ... مـــا أدركـــت ولوانهـــا في "يـــذبل"

وإذا أصـــاب فكـــل شـــيء مقتـــل ... وإذا أصـــيب فمـــا لـــه مـــن مقتـــل

وكأنمـــا ســـود النمـــال وحمرهـــا ... دبـــت بأيـــد في قـــراه وأرجـــل

حملـــت حمائلـــه القديمـــة بقلـــة ... مـــن عهـــد عـــاد غضـــة لم تـــذبل

* * *

واستهدى أيضا من أبى جعفر مُحَمَّد بن عبد الحميد فرسا وبغلا بقصيدة أولها:

لم يبـق في تلـك الرسـوم "بمـنعج" إمـا سـألت معـرج لمعـرج

يقول فيها في المعنى الذي ذكرنا:

أزف الفـراق فـنحن سـفر في غـد بالبـين مـن دعـوى الترحـل ننتجـي
وهـو المسـير إلى الخلـيج لنيـة لـولا "ابـن يوسـف" لم نشـط فنخلج
فـأعن علـى غـزو العـدو بمنطـو أحشـاؤه طـى الكتـاب المـدرج
إمـا بأشـقر سـاطع أغشـى الـوغى منـه بمثـل الكوكـب المتـأجج
متسـربل شـية طلـت أعطافـه بـدم فمـا تلقـاه غـير مضـرج
أو أدهـم صـافى السـواد كأنـه تحـت الكمـي مظهـر بيرنـدج
ضـرم يهـيج السـوط مـن شـؤبوبه هـيج الجنائـب مـن حريـق العـرفج
خفيـت مواقـع وطئـه فلـو أنـه يجـرى برملـة "عـالج" لم لم يـرهج
أو أشـهب يقـق يضـئ وراءه مـتن كمـتن اللجـة المتزجـرج
تخفـى الحجـول ولـو بلغـن لبانـه في أبـيض متـألق كالـدملج
أوفي بعـرف أسـود متغربـبٍ فيمـا يليـه وحـافر فيروزجـي
أو أبلـق يلقـى العيـون إذا بـدا مـن كـل لـون معجـب بنمـوذج
جـذلان تحسـده الجيـاد إذا مشـى عنقـا بأحسـن حلـة لم تنسـج
وأقـب نهـد للصـواهل شـطره يـوم الفخـار وشـطره للشـحج

لا ديـزج يصـف الرمـاد ولم أجـد (حـالا تحسـن مـن رواء الـديزج)

وعـريض أعلـى المـتن لـو عليتـه بالزئبـق المنهـال لم يترجـح

خاضـت قوائمـه الوثيـق بناؤهـا أمـواج تحنيـب بهـن مـدرج

ولأنـت أبعـد في السـماحة همـة مـن أن تضـن بموكـف أو مسـرج

* * *

وقد حذا الصنوبري حذو البحتري في هذه المعاني, فقال يستهدي نعلا:

مـتى تتـدارك نعلـى ألا فقـد ذهبـت أو بـدت تـذهب

بسـوداء ذات بريـق تـراه كـالآل مـن فوقهـا يلعـب

وإلا فصـفراء كالشـمس حـي ن يجللهـا ثوبهـا المـذهب

وإلا فبلقـاء قـد وشـحت بـنقش كمـا وشـح المشـجب

وإلا فـدكناء عرسـية يشـاكلها العنـبر الأشـهب

وإلا فحمـراء لـون الشـقي ق إن كـان هـذا فـذا أغـراب

وإلا فصـهباء مـا إن يـزا ل ينافسـها السوسـن الأصـهب

(ولـو كنـت أعـرف خضـراء قـل ت كالمـاء دبجـه الطحلـب)

ومـما يزينهـا في العيـو ن كمـا زيـن الفـرس المركـب

شـراك كخطافـة رنقـت تهـم بشـرب ومـا تشـرب

وإلا كحمـرة رفرفـت فـلا هـي تنـأى ولا تقـرب

كـأن عيـون الـدبى خرزهـا إذا مـا بـدا للـدبى موكـب

لـــه شمســـة ســـال كيمختهـــا كمـــا انقـــض مـــن حـــالق كوكـــب

هـــي البكـــر يخطبهـــا كفؤهـــا كـــذا البكـــر أحســـن مـــا يخطـــب

أبوهـــا يمـــان ولكنهـــا إلى الســـند في زيهـــا تنســـب

محذفـــة الوســـط شـــابورة حكتهـــا بآذانهـــا الربـــرب

وفي وســـطها طـــرة قصـــها علـــى طـــرة العـــود بـــل أعجـــب

إذا أقبلـــت أدبـــرت حيـــة وإن أدبـــرت أقبلـــت عقـــرب

وذا النعـــت يعـــزب إلا علـــي ك فأمـــا عليـــك فمـــا يعـــزب

* * *

وعلى البحتري أيضا ومعانيه في القصيدة التي قدمنا عول المريمي, وقد استهدى تكة من ابن (عبد كان) كاتب أحمد بن طولون بقوله:

ياســـــيدي ومـــــؤملي إن خفـــت مـــن عنـــت الليـــالي

أشـــكو إليـــك مصـــيبتي في تكـــة كانـــت جمـــالي

لعـــب البلـــى بجديـــدها فكأنهـــا دمـــن بـــوالي

ولـــديك منهـــا عـــدة نخـــب مـــن التكـــك الغـــوالي

فابعـــث بإحـــداهن لي حمـــراء مثـــل دم الغـــزال

أو جـــد بهـــا صـــفراء مـــث ل الشـــمس في وقـــت الـــزوال

أو لا, فبيضـــاء القـــم يـــص كأنهـــا رقـــراق آل

ومـــتى بعثـــت بهـــا مـــور دة لعبـــدك لا يبـــالي

والخضـــــر لـــــون أشـــــتهي هـــ وأرتضـــيه بكـــل حـــال

ولـــــئن أتـــــت خمريـــــة فقـــد اعتقـــدت بهـــا وصـــالي

أو فلـــــتكن زرقـــــاء تـــــش بـــــه زرقـــــة المـــــاء الـــــزلال

وتجنـــــب الســـــوداء فـــــه ى تعـــــد في الســـــقط الـــــرذال

والعـــــــيش في منقوشـــــــة كـــــــأكف ربات الحجـــــــال

هبهـــا وخـــذ حظـــي بهـــا ألا تحـــل علـــى حـــلال

قال: فأهدى إليه من كل لون ذكره عشر تكك.

* * *

واستهدى البحتري من إبراهيم بن المدبر الكاتب غلاما روميا اسمه "ميخائيل" بشعر يقول فيه:

وقد زعموا أن ليس يغتصب الفتى على عزمه إلا الهدية والسحر

فإن كنت يوما لا محالة مهديا ففي المهرجان الوقت إذ فاتنا الفطر

وإن تهد "ميخائيل" ترسل بتحفة تقضى بها العتبى ويغتفر الوزر

عزيز تراءته العيون كأنما أضاءلها في عقب داجية فجر

ولو يبتدى في بضع عشرة ليلة من الشهر ما شك امرؤ أنه البدر

إذا انصرفت يوما بعطفيه لفتة أو اعترضت من لحظه نظرة شذر

رأيت هوى قلب بطيئا نزوعه وحاجة نفس ليس عن مثلها صبر

ومثلك أعطى مثله لم يضق به ذراعا ولم يحرج له أوبه صدر

تجـاف لنـا عنـه فإنـك واجـد بـه ثمنـا يغليـه في مـدحك الشـعر

* * *

واستهدى أبو تمام من مُحَمَّد بن مالك بن طوق فرسا بشعر يقول فيه:

قالـــــــــــــــــت وعـــــى النســـــاء كـــــالخرس

وقد يصبن الفصوص في الخلس:

هـل يـرجعن غـير خائـب فرسـا ذو ســـبب في ربيعـــة الفـــرس

كـــأنني قـــد زرت ســـاحتها بمســـمح في قيـــاده ســـلس

أحمـــر منهـــا مثـــل الســـبيكة أو أحـــوى بـــه كـــاللمى أو اللعـــس

أو أدهـــم فيـــه كمتـــة أمـــم كأنـــه قطعـــة مـــن الغلـــس

فهـو لـدى الـروع والجلائـب ذو أعلـــى منـــدى وأســـفل يـــبس

يكثـــر أن يســـتحم في الحـــر والقـــر حميمـــا يزيـــد في الـــنجس

* * *

واستهدى أيضا من بعض آل المهلب بن أبي صفرة فروا بشعر يقول فيه:

دنا ســفر والــدار تنــأى وتصــقب وينسـى سـراه مـن يعـافى ويصـحب

وأيامنـــا خـــزر العيـــون عـــوابس إذا لم يخضـــها الحـــازم المتلبـــب

ولا بـد مـن فـرو إذا اجتابـه امـرؤ بـدا وهـو شـات في الصـنابر أغلـب

يســرك بأســا وهـــو غـــر مغمـــر ويعتـــد لـــلأيام حـــين يجـــرب

تظـــل الـــبلاد ترتمـــى بضـــريبها وتشـمل مـن أقطارهـا وهـو يجنـب

إذا البـــدن المقـــرور ألبســـه غـــدا لـــه راشـــح مـــن تحتـــه متصـــبب

إذا اعتـد ذنبـا ثقلـه منكـب امـرئ يقـول الحشـا إحسـانه حـين يـذنب

يـــراه الشـــفيف المـــرثعن فينثـــنى حســـيرا وتغشـــاه الصـــبا فتنكـــب

إذا مـــا أســـاءت بالثيـــاب فقولهـــا لـــه كلمـــا لاقتـــه أهـــل ومرحـــب

إذا اليوم أمسى وهو غضبان لم يكن طويـل مبـالاة بـه حـين حـين يغضـب

كـــأن حواشـــيه العلـــى وخصـــوره ومـــا انحـــط منـــه جمـــرة تتلهـــب

فهـــل أنـــت مهديـــه بمثـــل شـــكيره مـن الشـكر يعلـو مصـعدا ويصـوب

فأنـــت العلـــيم الطـــب أي وصـــية بهـا كـان أوصـى فـي الثيـاب "المهلـب"

يريد بهذا البيت ما يروى أن المهلب بن أبي صفرة قال يوما لبنيه, وقد اجتمعوا عنده في أجمل اللباس, وأحسن الزي: "إن أحسن ما كانت ثيابكم غذ رآها الناس على غيركم".

* * *

وحدثنا على بن العباس النوبختي قال: استهدى على بن العباس الرومي من أبي العباس بن بشر المرثدي لوزينجا عن مولود رزقه بشعر طويل أوله:

لا يخطئـــــني منـــــك لـــــوزينج إذا بـــــدا أعجـــــب أو عجبـــــا

لم تغلـــــق الشـــــهوة أبوابهـــــا إلا أبـــــت زلفـــــاه أن يحجبـــــا

لـــو شـــاء أن يـــذهب في صـــخرة لســـخر الطيـــب لـــه مـــذهبا

يـــــدور بالنفخـــــة في جامـــــه ... دورا تـــرى الـــدهن لـــه لولبـــا

عـــــاون فيـــــه منظـــــر مخـــــبرا ... مستحســـــن ســـــاعد مســـــتعذبا

مســـــتكثف الخبـــــز ولكنـــــه ... ارق جلـــدا مـــن نســـيم الصـــبا

كأنمـــــا قـــــدت جلابيبـــــه ... مـــــن أعـــــين القطـــــر إذا قببـــــا

يخـــــال مـــــن رقـــــة خرشـــــائه ... شـــــارك في الأجنحـــــة الجنـــــدبا

لـــــو أنـــــه صـــــور مـــــن خـــــبره ... أن يجعـــل لكـــان الواضـــح الأشـــنبا

مـــن كـــل بيضـــاء يحـــب الفـــتى ... أن يجعـــل الكـــف لـــه مركبـــا

ذيـــق لـــه اللـــوز فـــلا مـــرة ... مـــرت علـــى الـــذائق إلا أبى

وانتقـــــد الســـــكر نقـــــاده ... وشـــــاوروا في نقـــــده المـــــذهبا

فـــلا إذا العـــين رأتـــه نبـــت ... ولا إذا الضـــرس عـــلاه نبـــا

* * *

قال: واستهدى من بعض إخوانه بخوانه بخورا بشعر أوله:

أبا علـــى طلبـــت عيبـــك مـــا ... اســطعت فألفيـــت عيبـــك الســـرفا

يا أحسن الوجه والشمائل والأخلاق ... والخلـــق حيـــث مـــا انصـــرفا

عنـــــدي عليـــــل أرد منتـــــه ... بطيـــب الطيـــب كلمـــا ضـــعفا

فابعـــث بشـــيء مـــن البخـــور لـــه ... كـــبعض معروفـــك الـــذي ســـلفا

ولتـــــك أنفاســـــه تشـــــاكل ذك ... راك وحســـــبي بطيبهـــــا وكفـــــى

مـــن نـــدك الفاضـــل المفضـــل في ... النـــد علـــى غـــيره إذا وصـــفا

ذاك الـــذي لـــو غـــدا يفـــاخره نســـيم نـــور الـــرياض مـــا انتصـــفا

ولا يكـــــن دخنـــــة المعـــــزم للعفريـــت مـــن شـــم ريحهـــا رعفـــا

لا تـــــدخلن الجفـــــاء في لطـــــف فربمـــــا ألطـــــف امـــــرؤ فجفـــــا

أطـــــب وأقلـــــل فـــــإن أطبـــــت وأكثـــرت نصـــيبي فيـــا لـــه شـــرفا

* * *

واستهدى من أبي عبد الله مُحَمَّد بن سليمان بن فهد غروسا من الزهر لبستان بشعر يقول فيه:

قـــد تعـــرى بســـتاننا فـــاكس عـــار يـــه بنـــور يكســـوه حلـــة نـــور

نحـــن في كأبـــة بـــه فاجلـــب الله وغلينـــــا بجالبـــــات الســـــرور

بغصـــــون إذا تمـــــايلن في الـــــري ح عطفـــن القـــدود عطـــف الخصـــور

مـــا تبـــدت إلا حكـــت ظفـــر العـــا شـــق في غفلـــة الرقيـــب الغيـــور

وعرفنـــا في عرفهـــا طيـــب أنفـــا ســـك ذات الـــذكاء والتعطـــير

فهـــي تهـــدي إلى النفـــوس مـــع الأن فـــاس مســـكا فتقتـــه بعبـــير

مـــن نســـيم تظـــل تحملـــه الـــري ح غلينـــا باكـــورة في الحجـــور

الخلـــوقى كـــالخلوق وكـــافور ريهـــا في الـــذكاء كالكـــافور

مثـــل رقـــم الحريـــر أصـــفر في أح مـــر مـــن فـــوق أخضـــر كـــالحرير

طـــاب في ظلهـــا مراضـــعة الخـــم ر وتنفـــيس وعكـــة المخمـــور

قـــد بعثـــت المنظـــوم نحـــوكم مـــد حـــا فجـــودوا علـــى بالمنثـــور

وأهدى بعض إخوان أبي على البصير غليه مرفقة قرمز من مرفقتين أهديتا إليه, فقال أبو على يستهدى الأخرى:

مرفقـــــة أعطيهـــــا فـــــردة ... رمـــت لهـــا أختـــا فلـــم يتفـــق

يقـــول مـــن أبصـــرها عنـــدنا ... موضـــوعة: مـــا هـــي إلا ســـرق

قالـت ... وقـد صـدرت بيـتي بهـا ... مقـــال موتـــور مغـــيظ حنـــق

واســـتنكرت مـــا هـــو مســـتنكر ... مـــن ضـــيعة القرمـــز بـــين الخـــرق

وذكـــرت أختـــا لهـــا عنـــدكم ... كانـــت وإياهـــا معـــا في نســـق:

تعســـا لمـــن فـــرق مـــا بيننـــا ... ولم يكـــن في الحـــق أن نفـــترق

فوجه إليه بالمرفقة الأخرى.

وحدثنا الأسباطي قال: استهدى المريمي من أبي الجيش خمارويه ابن أحمد بن طولون خمية بقصيدة طويلة يقول فيها:

وقـــد عرضـــت إليـــك حويجـــة لي ... مصـــــغرة وموقعهـــــا جليـــــل

مقـــدرة مـــن الخـــيم اللـــواتي ... بهـــا لطـــف ولـــيس بهـــا خمـــول

حواليهـــا الســـيول ولا عليهـــا ... إذا أفضـــت علـــى الخـــيم الســـيول

ثنـــاء يســـتهيل القطـــر فيـــه ... ولا يعفـــو كمـــا تعفـــو الطلـــول

إذا حلـــت مـــن الأطنـــاب خـــرب ... كمـــا خـــر النزيـــف أو القتيـــل

* * *

قال أبو بكر المراغي الوراق: حدثنا اللبادي الشاعر أنه خرج من بعض

مدن أذربيجان يريد أخرى وتحته مهر له رائع, وكانت السنة مجدبة, فضمه الطريق وغلاما حدثا على حمار له, قال: فحادثته فرأيته أديبا, راوية للشعر, خفيف الروح, حاضر الجواب, جيد الحجة, فسرنا بقية يومنا, وأمسينا أن يكون عنده شيء, فرفقت به على أن جاءني برغيفين, فأخذت واحدا, ودفعت إلى ذلك الغلام الآخر. وكان غمى على المهر أن يبيت بغير علف أعظم من غمى على نفسي. فسألت صاحب الخان عن الشعير فقال: ما أقدر منه على حبة واحدة. فقلت: فاطلب. وجعلت له جعيلة على ذلك. فمضى وجاءني بعد طويل, فقال: قد وجدت مكوكين عند رجل حلف بالطلاق أنه لا نقصهما من مائة درهم. فقلت: ما بعد الطلاق كلام. ودفعت إليه خمسين درهما, فجاءني بمكوك, فعلقته على دابتي. وجعلت أحادث الفتى, وحماره واقف بغير علف, فأطرق مليا, ثم قال: أتسمع –أيدك الله– أبياتا حضرت الساعة؟ قلت: هاتها, فأنشدني:

يا سيدي شعري نفاية شعركا ... فلذاك نظمي لا يقوم بنثركا

وقد انبسطت إليك في إنشادما ... هو بالحقيقة قطرة من بحركا

آنستني وسررتني وبررتني ... وجعلت أمري من مقدم أمركا

وأريد أذكر حاجة إن تقضها ... أك عبد مدحك ما حييت وشكركا

أنا في ضيافتك العشية هاهنا ... فاجعل حماري في ضيافة مهركا

فضحكت, واعتذرت غليه من إغفالي أمر حماره, وابتعت المكوك الآخر بخمسين درهما, ودفعته إليه.

* * *

حدثنا الصولي عن أبي العيناء قال: كتب الحسين بن الضحاك إلى أحمد يوسف الكاتب, ليلة الميلاد, يستهديه شمعا:

سجاياك في طيب أعراقها ... تباهى النجوم بإشراقها

وما للعفاة غياث سوا ... ك كانك ضامن أرزاقها

وليلة ميلاد عيسى المس ... يح قد طالبتني بميثاقها

فهذى قدوري على نارها ... وفاكهتي ملء أطباقها

وبنت الدنان فقد أبرزت ... من الخدر تجلى لعشاقها

وقد قامت السوق بالمسمعا ... ت وبالمطربات على ساقها

فكن مهديا لي فدتك النفو ... س فجودك ممسك أرماقها

نظائر صفرا غدت فتنة ... بلطفة أنامل حذاقها

ومثل الأفاعي إذا ألهبت ... وللروم زرقة أحداقها

ولم أر من قبلها أنفسا ... تذيب الجسوم بإحراقها

وإن مرضت لم يكن برؤها ... بشيء سوى ضرب أعناقها

الباب الرابع

في ذكر من إستهدى هدية بغير شعر

حدثنا الأصبهاني قال: كتب رجل إلى مُحَمَّد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة، وكان كريما سخيا، يلقب "الفتى العسكر" يستهديه جارية رقعة فيها" "حفظك الله وحفظ النعمة عليك، إن بين كل أمر يطالبه الرجل وبين المطلوب إليه ذريعة يتوسل بها إلى معروفه، ولي بارتجائك درجة توجب قضى الحقوق. وحاجتي –أبقاك الله – ظريفة من الجواري لم تتداولها أيدي التجار، ولم تمتهنها خدمة الموالى؛ ولى فيها شريطة أعرضها عليك، وأذكرها لك، لترى رأيك فيها.

وهي أنه كان يقال: إذا اتخذت جارية فاستجد شعرها؛ فإن الشعر أحد الوجهين؛ وتكون رائعة البياض تامة القوام، فإنه يقال: إن البياض والطول نصف الحسن. وأنا أقول: إنه الحسن كله، وتكون مليحة المضحك فإنه أول ما تسجلب به المرأة المودة وتعتقد الحظوة، وتكون جيداء العنق، غيداء الليث، كحلاء العين، لها طرف أدعج وحاجب أزج، موردة الخدين سهلتهما، واضحة الجبين، قنواء الأنف، حمراء الشفتين، مفلجة الثنايا، نقية الثغر، مشرفة النحر؛ ولست أكره الانكسار في الثديين لأنه ليس للنهود عندي إلا لذة المنظر، وهي أيضا تحول بين المعانق وبين إرادته وليست من قول الشاعر:

حال الوشاح على قضيب زانه ... رمان صدر ليس يقطف ناهد وأكره العجيزة الضخمة، ولا أحب الرسحاء بل أريدها وسطا، لأن "خير الأمور أوسطها". وتكون سبطة البنان فتلاء الساعد، ممتلئة الذراع، فخمة العضد، قباء البطن، نحيفة الخصر، يطويها الضجيع طي الحمالة؛ عبلة الفخذين، بردية الساقين، لطيفة القدمين.

ولولا إفراط الغيرة لذكرت ما أحبه مما هو مستور إلا عند الحاجة إليه. وأريدها رخيمة الصوت، شهية النغمة، عذبة الألفاظ، بها غنة الحداثة، وبحة الاحتلام؛ أشجى حلقا من الغريض. وأنغم كلاما في الآذان من نغم "مخارق"، وأثبت حجة من "أبي الهذيل العلاف"، وأبين معنى من "النظام"، ظريفة المجون، حسنة الوقار إن أردتها دنت وإن كرهتها نأت، أطوع من الرداء وأذل من الحذاء.

وقدرك – أيدك الله– يحتمل اقتراحي عليك، وشكري لك يستوجب ما سألته منك، وأنا بالإسعاف جدير، وأنت بالإفضال قمين؛ والسلام. فأجابه مُحَمَّد بن منصور: "سألت أعزك الله عن هذه الصفة وطلبت هذا النعت فأعيتني في الدنيا، وما أراني أجدها في الآخرة وقد بعثت إليك ألف دينار لتلتمسها أنت، وتسأل إخوانك معاونتك على ذلك، فمتى وجدتها أو وجدها لك أحد دفعت الدنانير إليه عربون الدلالة وعرفتني مقدار الثمن حتى أنفذه إليك".

قال: وكتب بعض أصحاب معن بن زائدة، وهو ببرذعة، متقلدا لها رقعة فيها: " إن رأى الأمير أن يأمر بحملاني، فإني بغير مركوب فعل إن شاء الله".

فوقع معن على رقعته: "يدفع إليه حجر ومهر، وبغلة وبغل، وحمارة وعير، وناقة ونجيب، وبقرة وثور، وسفينة وقارب، وجارية وغلام، وخف ونقل. وما أعلم أنه أبقى شيء مما يركب إلا فيل وزندبيل؛ وأرجو أن أملكها وأحملك عليهما إن شاء الله".

وحدثنا جحظة قال: كان جعفر بن عبد الواحد الهاشمي بخيلا موسرا، وكان ينزل سر من رأى وكان يستهدى في أيام الرطب من صديق له رطبا، فكان يوجه إليه في كل يوم سلة رطب، فكأنه ربما جاءته متشعثة، فيتهم الغلام أنه يأكل منها.

فلما طال ذلك عليه قال للذي كان يهديها إليه: إن أردت تمام العارفة عندي، وأحببت أن تهنئني بما تهديه إلي فاختمها فقد اتهمت الغلام؛ فكان يختمها ويوجهها إليه، فساء ظنه أيضا بالغلام، فقال: إن أردت سروري وإزالة الفكر عن قلبي فصير ختمك إياها زنبورين حتى لا يتهيأ للغلام فيها ما يريد، ففعل ذلك. فكان إذا فتحها وطار الزنبوران منها علم حينئذ أنها ما فتحت، ولا أخذ الغلام منها شيئا.

الباب الخامس

في ذكر شيء من أخبار الهدايا

حدثنا الصولي عن يزيد بن مُحَمَّد المهلبي قال: أهدى أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي إلى المأمون في يوم مهرجان مائة حمل زعفران في شبك إبريسم على مائة أتان شهب وحشية مربية.

فجاءت الهدية والمأمون عند الحرم فقيل له: قد وجه القاسم بن عيسى مائة حمل زعفران (على مائة حمار) فأحب المأمون أن ينظر إليها على حالها، وكره أن يكون من الحمير شيء لا يصلح للنساء، فسأل سؤال مستثبت عن الحمر أهي أتن أم ذكور؟ فقيل له: بل هي أتن وحشية مربية، وليس فيها ذكر، فسر بذلك وقال: قد علمت أن الرجل أعقل من أن يوجه بها على غير أتن.

وشبيه بهذا الخبر ما حدثناه جحظة قال: حدثني علي بن يحيى المنجم أن المتوكل كان يميل إلى جاريته "شجن" ميلا تماما، ويفضلها على سائر حظاياه، ويصفها لهن. فعاتبته على تفضيله إياها، وميله إليها وأثرته لها عليهن، فأقبل يصفها ويذكر أحوالها وتمام ظرفها وكمال مروءتها ثم قال: وهذا المهرجان قد قرب وقته، ولابد لكن من أن تهدين إلي فيه هدايا، وتهدى هي أيضا وننظر إلى هديتها وهداياكن، فتعلمن أن هديتها أطرف من هداياكن جميعا. فلما كان في يوم المهرجان أهدين هدايا نفيسة، واحتفلن في ذلك؛ وجاءت

هدية "شجن" وهي عشرون غزالا مربية بعشرين سرجا صينيا، على كل غزال خرج صغير من ذهب مشبك فيه المسك والعنبر وأنواع الطيب المرتفعة؛ مع كل غزال وصيفة بمنطقة من ذهب في رأسه جوهرة ياقوت أو زمرد أو غيرها من الجواهر الجليلة القدر، فقال المتوكل لحظاياه واستلمح ذلك؛ من كان يحسن منكن مثل هذا قال جحظة: فحدثني علي بن يحيى أنهن عملن في قتلها بشيء سقينها إياه فماتت.

وحدثنا مُحَمَّد بن يحيى قال: حدثني يزيد بن مُحَمَّد قال: كان موسى بن عيسى بن يزدانير من وجوه الكتاب وسرواتهم، وكان يكتب للفضل بن الربيع، فاتصل بالفضل أنه يهوى "عريب" المغنية، فقال له يوما: يا موسى بلغني أنك تهوى عريب هوى لا يهنيك معه مطعم ولا مشرب، وما نملكه فبين يديك، فإن كان لما بلغني حقيقة فعرفنيه حتى أبتاعها لك بما بلغت، ولو أتى ذلك على جميع ما أملك. واعلم أن هذه الحال ليست بناقصتك عندي، واحذر أن تكتمني فيتأدى إلي الخبر بصحة ما بلغني فأتنكر لك. فأنكر موسى ذلك، ودفعه، وحلف على بطلانه.

فلما كان بعد ذلك بأيام تغدى الفضل، فقدم إليه في آخر الطعام لباء ظباء مع تمر من التمر السابري في طبق غضار صيني زمردي؛ فاستحسن الفضل ذلك. وكان يعرف كاتبه بالظرف، فقال: هذه هدية ظريفة تصلح لكاتبنا موسى. فدعا بطبق ومكبة، ووجه بذلك إلى موسى، فلما وضع بين يديه استحسنه وقال: لا أهدى إلى عريب شيئا أملح من هذا فوجه بالهدية على حالها (إليها) فلما نظرت إليها استطرفتها وقالت: لا أتحف الأمير– يعني الفضل – بأحسن من هذه الزلة فبعثت بها إليه، فدخلت داره كما

خرجت منها لم تغير، فأمر بها، فعزلت.

وحضر موسى بالعشي على رسمه فقال له الفضل: كيف رأيت تلك الهدية يا موسى؟ قال: حسنة، والله يا سيدي! قال: فأكلت منها؟ قال: نعم وأطعمت من في منزلي تشرفا. فقال له الفضل: يا فاسق أما زعمت أنك لا تحب عريب، هذه هديتنا إليك قد أتحفتنا بها عريب أما أنك لو كنت صدقتني عن مكانها من قلبك عند عرضي عليك ما عرضت من أمرها كنت قد ابتعتها لك بما بلغت، فأما الآن فلا.

فقال موسى: ظلمتني يا سيدي إني لو أعلمتك أني أهواها لوجب أن أسقط من عينك وتقل منزلتي عندك إذا أظهرت حبها، ولم أصبر على كتمانه؛ فقال الفضل: دع هذا عنك فقد خجلت، يا غلام أزل خجلة بعشرة آلاف دينار ينفقها على عريب؛ فدفعت إليه.

وحدثنا أيضا قال: تقدم الواثق إلى إيتاخ – وكان على خزن الكسوة – أن يتخذ له حلتي وشي على صورة، ودفعتها إليه، وأمره بتعجيل ذلك في يوم ذكره له. فتقدم إيتاخ إلى كاتبه سليمان بن وهب فجد في اتخاذها حتى فرغ منهما وأتى بهما إلى الواثق، فرضيهما وأمر بقطعها له دراعة وقميصاً.

وعرض لسليمان شغل فسأل أخاه الحسن بن وهب النيابة عنه في ملازمة الخياطين وحثهم حتى يفرغوا. وكان الحسن يهوى "بنان" جارية مُحَمَّد بن حماد كاتب راشد المعرى، فلما خلا بالثوبين قطع أحدهما قميصا لبنان؛ واستحث الخياطين في أمره حتى فرغوا منه، وأخذه وانصرف إلى منزله، وأحضر "بنان" فخلعه عليها، وجلس يشرب معها. واتصل الخبر بأخيه

سليمان، فقامت القيامة عليه، وأيقن بالقتل، وأحضر الوشائين فطلب شكلا للثوب فلم يجده، فابتاع حلة دونه بستة آلاف دينار، وصدق إيتاخ الخبر. وألح الواثق في طلب القميص والدراعة وإيتاخ يدافعه إلى أن فرغ الخياطون من ذلك، فأحضرهما إياه؛ فلما لبسهما أنكر الحلة المبتاعة فسأل إيتاخ عن السبب، واستحلفه بحياته أن يصدقه فصدقه عن الخبر، فضحك حتى استلقى على فراشه.

وأنفذ خدما لإحضار الحسن و"بنان" على الصورة التي هما عليها، فأحضرا فيوقته، فلما رآهما والقميص على بنان قال للحسن: ويحك؛ تأخذ ثوبا قد اخترته لنفسي فتقطعه للتي تحب عن غير أمري. قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: ولم؟ قال: لأنك الخليفة والدنيا كلها ملك يدك، وجميع أهلها رعيتك ولا يبعد عليك ما تطلب وأنا لا أقدر على مثله أبدا إلا أن تقطع حلة أخرى، ويستوى لي أن أتقلد أمرها فأسرقها.

فضحك الواثق أكثر من ضحكه الأول وأمر له بمائة ألف درهم، ول"بنان" بثلاثين ألف درهم وصرفها.

وكان في ناحية الحسان شاعر قد جفاه واطرحه، فقال في ذلك:

أهـــــدى إليهـــــا قميصـــــاً ســـــلها فيـــــه غـــــيره

ففـــــي الســـــعادة حرهـــــا وفي الشـــــقاوة تـــــره

وحدثنا جحظة في كتابة الملقب "بكتاب المشاهدة" قال: كان الحسن بن مخلد شحيحا على الطعام، سمحا بالأموال الجليلة القدر، فسمعت علي بن يحيى المنجم يقول: كان الحسن بن مخلط يعمل لجاريته "لاثم" في كل يوم

من مائدته وسطا ويهديه إليها، فتظهر السرور بذلك فأغفله يوما فعاتبته على ذلك، فعمل لها وسطا من ذهب في جوفه جوهرة بعشرة آلاف دينار فأهداه إليها.

قال: وكانت تسمى الوسط الذي يهديه إليها من المائدة في كل يوم "ما هناني". فقالت له عند إهدائه الوسط من الذهب: ليس هذا يا سيدي "ما هناني"؛ هذا ما أغناني.

حدثنا أحمد بن أبي خال قال: خرج الفيض بن أبي صالح، وأحمد بن الجنيد وجماعة من وجوه الكتاب من دار المأمون منصرفين إلى منازلهم، وكان يوما مطيرا، فتقدم الفيض بن أبي صالح، وتلاه أحمد ابن الجنيد فنضح دابة الفيض على ثياب أحمد بن الجنيد برجله من ماء المطر فتأفف أحمد وقال (للفيض) هذه والله مسايرة بغيضة، وما أدرى أي حق أوجب لك التقدم علينا؟ فأمسك الفيض حتى صار إلى منزله، ثم دعا وكيله، فأمره بإحضار مائة تخت في كل قميص وسراويل ومبطنة وطيلسان ففعل ذلك. فقال له: احمل هذه التخوت على مائة حمال، وصر بها إلى أحمد بن الجنيد، وقل له: أوجب لنا التقدم عليك أن لنا مثل هذا نهديه إليك إذا أفسدنا ثيابك فإن أهديت لنا مثله إذا تقدمت علينا وأفسدت دابتك ثيابنا قدمناك. حدثنا الصولي قال: اختصم رجلان إلى قاض قد قدم أحدهما إليه هدية، فأراد القاضي أن يقضي عليه بحق وجب، فدنا منه فقال مسرا إليه: قد أهديت إلى القاضي شبابيط دجلية، وفراريج كسكرية، وحنطة بلدية، وجبنة دينورية، وشهدة رومية، فقال القاضي: قم! وصاح: ما هذا مما تسارني به، إذا كانت لك بينة بالرى انتظرناها وأخرنا الحكم وأجلناك. فقال: الغريم:

إذا مـــا صـــب في القنـــديل زيـــت تحولـــــت الحكومـــــة للمقنـــــدل

وعنـــد قضـــاتنا حكـــم وعلـــم وبـــذر حـــين ترشـــوهم بســـنبل

وحدثنا جحظة عن حماد بن اسحق الموصلي عن أبيه قال: طهرت بعض ولدي فكتب إلى إبراهيم بن المهدي: "لولا أن البضاعة قصرت عن بلوغ الهمة لتقدمت السابقين إلى برك، وشأوت المتقدمين إلى إكرامك، وكرهت أن تطوى صحيفة البر وليس لي فيها ذكر فوجهت إليك المبتدأ بنفعه والمختوم ببركته وطيبه: جراب ملح وجراب أشنان" ثم جائتني هداياه بما تقصر الألسن عن نعته.

الباب السادس

في ذكر من ذم ما أهدي إليه نظما أو نثرا

حدثنا الرجائي قال: حدثني صديق لي طريف أديب أنه وصف لجحظة ممقوراً كان عنده فاستهدى منه شيئا؛ قال: فوجهته كله إليه، فكتب إلي:

يا بن روحي فدتك روحي من الأس ... واء إني بـــك الغـــداة عميـــد

قـــد أتانا الممقـــور لازلـــت كـــالمم ... قـــور في خلـــه وفي الخـــل دود

عملتـــه العجـــوز حـــتى إذا مـــا ... جـاد جـادت بـه علـى مـن تريـد

زوجـــه طـــالق وبنـــت شـــرود ... وأمـــور منهـــا يشـــيب الوليـــد

قال: فلقيته وكنت له كالخادم، فقلت: من أنا ويحك حتى تهجوني؟ وأي شيء ذنبي إليك؟ فقال: سألتك ممقورا فوجهت إلي برفائد الفصد.

وحدثنا علي بن اسحق الكاتب قال: أهدى ابن اليتيم الكاتب إلى البسامي دن شراب فلم يرضه وكتب إليه:

أقبـــل الـــدن مـــن بعيـــد فـــأيقن ... ابخفـــــض ولـــــذة وســـــرور

ففتحنـــــاه مســـــرعين فـــــألقي ... ناه خـــــلا يعـــــد للممقـــــور

قال: وأهدى إليه بعض إخوانه أقداحا وصفها له قبل إهدائها، وذكر أنها مخروطة في نهاية الحسن؛ فلما رآها لم تقع منه موقعا، فردها وكتب معها:

قـــد دعتـــني إلى التنســـك أقـــدا حـــك بعـــد المجـــون والإفـــراط

هـــي مخروطـــة زعمـــت ولكـــن ســـقطت طاؤهـــا مـــن الخـــراط

قال: وأهدى إليه صديق له قمريا غير فصيح، فكتب إليه:

تعرضـــت مـــني للهجـــاء ولم يكـــن سوى الشكر والإحماد في كل مجلس

ومـــا النـــاس إلا مـــن تكامـــل فـــيهم سماحـــة أخـــلاق وعفـــة أنفـــس

فشـــأنك بالقمـــرى يا أهـــل مثلـــه علـــى صـــوته فـــأطرب وإياه فـــاحبس

ولكـــن مـــن حـــق العجـــوز وبرهـــا بعثـــت إلى غضـــب اللســـان بأخـــرس

قال: وزار عبد الله –الذي كان أبو تمام يهواه – أبا تمام يوما ولم يكن عنده نبيذ، فأنفذ غلاما له إلى بعض إخوانه، يستهديه نبيذا بهذه الأبيات:

جعلـــت فـــداك "عبـــد الله" عنـــدي بعقـــب الهجـــر منـــه والبعـــاد

لـــه لُمـــةٌ مـــن الكتـــاب بـــيض قضـــوا حـــق الـــزيارة والـــوداد

واحســـب يـــومهم أن لم تجـــدهم مصـــادف دعـــوة مـــنهم جمـــاد

فكـــم بـــر مـــن الصـــهباء ســـار وآخـــر منـــك بالمعـــروف غـــاد

فهـــذا يســـتهل علـــى ضـــميمي وهـــذا يســـتهل علـــى تـــلادي

دعـــوتهم عليـــك وكنـــت ممـــن يناديـــه إلى النـــوب الشـــداد

فحبس غلامه وقتا طويلا ثم أنفذ نبيذا ردئيا فكتب إليه أبو تمام:

قـــد عرفنـــا دلائـــل المنـــع أو مـــا يشـــبه اللـــوم باحتبـــاس الرســـول

وافتضـــحنا عنـــد الحبيـــب بمـــا ص ح لديـــه مـــن قـــبح وجـــه الشـــمول

فاجأتنا كدراء لم تسب من تس نسيم جريالها ولا السلسبيل

من عقار لا ريحها نكهة المس ك ولا خدها بخد أسيل

لا تهدى سبل العروق ولا تن ساب في مفصل بغير دليل

وكأن الأنامل اعتصرتها بعد كد من ماء وجه البخيل

وهي نزر لو أنها من دموع الص ب لم تشف منه حر الغليل

احتسابا بذلتها أم تصدق ت بها رحمة على ابن سبيل

كم مغطى قد اختبرنا جداه وعرفنا كثيره بالقليل

وحدثنا أبو نجدة الأنماطي الموصلي قال: اعتل البحتري بالموصل فأشار عليه الطبيب بتجنب اللحم وأن يتغذى بمزورة وصفها له، فقال بعض رؤساء الموصل: لي طباخ يجيد صنعة هذه المزورة، وأنا أتقدم إليه باتخاذها في كل يوم، وتوجيهها إليك، فقال له: افعل. فلما جاءته لم يستطبها فكتب إلى الرجل:

وجدت وعدك زورا في مزورة حلفت مجتهدا إحكام طاهيها

فلا شفى الله من يرجو الشفاء بها ولا علت كف ملق كفه فيها

فاحبس رسولك عنها أن يجيء بها فقد حبست رسولي عن تقاضيها

وأهدى معمر السدوسي إلى أبي الخطاب البهدلي جملاً مهزولاً فكتب إليه أبو الخطاب:

أهدى إلينا معمر خروفا كان زمانا عنده مكتوفا

يعلفه الكستج والسفوفا والغارقون بعده مدوفا

حـــتى إذا مـــا صـــار مســـتجيفا أهـــدى فأهـــدى قصـــبا ملفوفـــا

عظمـــا وجلـــدا فوقـــه وصـــوفا وكـــان مـــن أفعالـــه موصـــوفا

واستهدى ابن طباطبا من صديق له نبيذا في قرابة، فوجه إليه نبيذا ممزوجا فكتب إليه:

كنـــت اســـتمحتك في قرابـــة مـــاء "أبا الحسـين" أم اسـتهديت صـهباء

خطبـت جاريـة سمـراء قـد جليـت علـــى زفـــت إلي اليـــوم بيضـــاء

فرطـت في خـتم بـر قـد سمحـت بـه قـدبر اللـص فيـه أمـس مـا شـاء

وأهدى رجل إلى دعبل بن علي أضحية مهزولة فلم يرضها وكتب إليه:

بعثـــــــت إلي بأضـــــــحية وكنـــــت حـــــريا بان تفعـــــلا

ولكنهـــــا خرجـــــت غثـــــة كأنـــــك أعلفتهـــــا حـــــرملا

فـــــإن قبـــــل الله قربانهـــــا فســـبحان ربـــك مـــا أعـــدلا!

الباب السابع

في ذكر من إستهدى شيئا فمنع منه أو مطل به فذم واستبطأ بشعر

حدثنا أبو الفرج قدامة بن جعفر قال: حدثني أبي قال: أهدى أبو جعفر بن سطام إلى إبراهيم بن عيسى الزمن حمارا فلم يحمده، فكتب إلى أبي جعفر يذم الحمار ويعرض بأبي الصقر بن بلبل، وكان يعاديه:

قل "لأبي جعفر" في عيركم ... خمس خلال من "أبي الصقر"

مبلد يغمز من حقوه ... مع رقة الحافر والظهر

فامنن لهذا العير يا سيدي ... بقوته للشهر والدهر

فوقع: ليطلق له العلف في كل شهر. قال: فتأخر في بعض الشهور، وكان في شهر رمضان، فكتب إلى أبي جعفر:

يا "أبا جعفر" بعيشك هل أب ... صرت عيرا يصوم شهر الصيام

جاءني الصك للحمار ولكن ... لم أحصل سوى استماع الكلام

فعلى حسب ذاك سوف أجازي ... ك وآتيك شاكرا في المنام

فأمر أن يسلف لعشر سنين.

واستهدى الحمدوي البصري من أحمد بن حرب طيلسانا لم يرضه، فعمل فيه شعرا كثيرا مشهورا عند الناس، نحن نذكر شيئا منه:

يا بـــن حـــرب كســـوتني طيلســـانا مـــل مـــن صـــحبة الزمـــان وصـــدا

قـــد حســـبنا نســـج العناكـــب فيـــه قـــيس مـــن نســـج طيلســـانك ســـدا

إن تنحنحـــت فيـــه ينخـــر عشـــرا أو تنفســـت نحـــوه انقـــد قـــدا

طـــال تـــرداده إلى الرفـــو حـــتى لـــو بعثنـــاه وحـــده لتهـــدى

ومن مشهور قوله فيه أيضا، وقد روى بعض هذه القطعة لعبد الصمد بن المعذل في خبر ليس ها هنا موضعه، وهي:

طيلســـان لـــو كـــان لفظـــا إذا مـــا شـــك خلـــق في أنـــه بهتـــان

فهـــو كـــالطور إذ تجلـــى لـــه الـــل هـــ فهـــدت قـــواه والأركـــان

يا بن حرب فكيف يبقى على البذ لـــة ثـــوب يـــذوب وهـــو يصـــان

يا بـــن حـــرب لقـــد رفـــوناه حـــتى بقـــى الرفـــو وانقضـــى الطيلســـان

وفيه قوله أيضا:

يا بـــــن حـــــرب إني أرى في زوايا بيتنـــا مثـــل مـــا كســـوت جماعـــة

طيلســـان رفوتـــه ورفـــوت الـــر فـــو منـــه وقـــد رقعـــت رقاعـــة

فأطـــاع البلـــى فصـــار خليعـــا لـيس يعطـى الرفـاء في الرفـو طاعـة

فـــــإذا ســـــائل رآني فيـــــه ظـــن أني فـــتى مـــن أهـــل الصـــناعة

واستهدى الحمدوي أيضا من سعيد بن أحمد البصري شاة فكانت غير مرضية، فأكثر في ذمها؛ فمن ذلك قوله:

بشـاة سـعيد وهـي روح بـلا جسـم تمثلـت الأمثـال في شـدة السـقم

يقــول لي الإخــوان لمــا طبختهــا: أتطــبخ شــطرنجا عظامــا بــلا لحــم

فقلــت: كلــوا منهــا فقــالوا تجمــزا: أتطعمنــا ناووس قــوم مــن العجــم

فقلــت لهــم: كانــت لــديهم أســيرة ترى القت في أيدي العدو وفي الحلم

وكــم قــد تغنــت إذ تطــاول جوعهــا، ولم تــر عنــد القــوم شــيئا مــن الطعــم

ألا أيهــا الغضــبان بالله مــا جرمــي إليك فقد بليت لحمى على عظمى

شـــاة ســـعيد في أمرهـــا عـــبر لمـــا أتتنـــا قـــد مســـها الضـــرر

وهـــي تغـــنى لســـوء حالتهـــا حســـبي مـــا قـــد لقيـــت يا عمـــر

مـــرت بقطـــف خضـــر يشـــررها قـــوم فظنـــت بأنهـــا خضـــر

فأقبلـــت نحوهـــا لتأكلهـــا حـــتى إذا مـــا تبـــين الخـــبر

وأبـــدلتها الظنـــون مـــن طمـــع يأســـا تغنـــت والـــدمع ينحـــدر

كـــانوا بعيـــدا فكنـــت آملهـــم حـــتى إذا مـــا تقـــاربوا هجـــروا

واستهدى ابن طباطبا من بعض الأمراء دابة، وكتب إليه بشعر يقول فيه:

ســـأغدوا منـــه محمـــولا علـــى أدهـــم همـــلاج

بلـــون آبنوســـي ووجـــه كســـنا العـــاج

وثيـــق خلقـــه لم يـــؤ ت مـــن طـــي وإدمـــاج

قصـــير الظهـــر محبـــوك عظـــيم الـــردف رجـــراج

كمنشـــور الميـــادين بـــه ســـرعة إدراج

ويسبي السمع منه عن ... د إلجام وإسراج

صهيل في لجام عل ... ه إيقاع صناج

له منه على إيقا ... ه ألحان أهزاج

عليه أبدا من صب ... ه سربالديباج

أزح عني به الله ... م ولا تولع بإحراجي

فلم أثتضك المرك ... ب إلا بعد إحواج

فوعده ومطله أياما فكتب إليه:

يا سيدي أيها الأمير أما ... تقضى لنا بحاجة رجوناها

دابة الأرض تخرج من قب ... ل خروج التي طلبناها

بشرت نفسي بما سمحت به ... وعدا فحقق لدى بشراها

عندي لك الشكر والثناء وإن ... أغريت نفسي بطول شكواها

واستهدى دعبل بن علي دراعة من بعض الرؤساء، فلم يهدها إليه، وقال: "هذه الدراعة كانت لأبي، وما أسعف بها أحد، فقال دعبل:

ما يتقضى عجبي ... ما عشت من مطلب

سألته دراعة ... لباسها يجمل بي

فقال لي: أكره أن ... تلبس من بعد أبي

وقد رأى البرد ومن ... يلبسه بعد "النبي"

حدثنا جحظة قال: كتب البسامي إلى ابن عمه مُحَمَّد بن جعفر البسامي

يستهديه برذونا كان عنده، فكتب يعتذر ولم يهده إليه، ثم بلغه أنه قال: "أنا أصون هذا البرذون عن ولدي، فكيف أهبه لغيري؟ " فقال البسامي:

بخلت عني بحارن حطم ... لست تراني ما عشت أطلبه

فلا تقل صنته، فما خلق الل ... ه مصونا وأنت تركبه

ثم استهداه بعد ذلك حمارا فلم يسعفه، فكتب إليه:

بعثت لأستهديك عيرا فلم تجد ... ولم أدر أن العير صار لنا صهرا

فوجه به كي نشترك في ركوبه ... فتركبه بطنا وأركبه ظهرا

واستهدى البحتري من إسماعيل بن شهاب كاتب ابن أبي داؤاد برذونا كان عنده، فوعده إياه ومطله مدة، وكان للبحتري برذون أدهم فنفق في تلك الأيام، فكتب إليه:

وعدت برذونا ورددتني ... إليك حتى مات برذوني

وكان مصقول النواحي إذا ... رأيته مستغرب اللون

لؤلؤة تضحك أرجاؤها ... تحسن في البذلة والصون

منيتني الأشهب من بعد ما ... فجعتني بالأدهم الجون

إن يكذب الميعاد تظلم وإن ... يصدق فبرذون ببرذون

الباب الثامن

في ذكر من لم يقبل الهدية ترفعا وردها تنزها

حدثنا علي بن العباس الكاتب قال: كان أبو العباس السفاح يعرف عمارة بن حمزة مولاه بالكبر وعلو الهمة والقدر، وشدة التنزه؛ فجرى بينه وبين أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة المخزومية زوجته يوما كلام، فاخرته فيه بأهلها، فقال لها أبو العباس: أنا أحضرك الساعة على غير أهبة مولى من موالى ليس في أهلك مثله.

ثم أمر بإحضار عمارة بن حمزة على الحال التي يكون عليها فأتاه الرسول في الحضور؛ فاجتهد في تغيير زيه، فلم يدعه. وجاء به إلى أبي العباس وأم سلمة خلف الستر، وإذا عمارة في ثياب ممسكة، قد لط لحيته بالغالية حتى قامت واستتر شعره فقال: ما كنت أحب أن يراني أمير المؤمنين على هذه الحال. فرمى إليه بمدهن كان بين يديه فيه غالية، فقال: يا أمير المؤمنين، أترى لها في لحيتي موضعا؟. فوجهت إيه أم سلمة عقدا قيمته جليلة، فدفعه إليه الخادم فتركه بين يديه؛ وشكر أبا العابس، ونهض؛ فقالت أم سلمة لأبي العباس: إنما أنسيه. فقال للخادم: ألحقه به، وقل له هذا هدية أم سلمة إليك لم خلفته؟ فاتبعه الخادم وقال: هذا لك فلم تركته؟ فقال: ما هو لي فارددده. فلما عرفه أن أم سلمة أهدته إليه قال: إن كنت صادقا فقد وهبته لك.

فانصرف الخام بالعقد، وعرف أبا العباس ما جرى، فقالت أم سلمة: اردد علي عقدي؛ فامتنع الخادم من رده عليها، وقال: قد وهبه لي الذي وهبته له؛ فلم تزل به إلى أن ابتاعته منه بعشرة آلاف دينار.

قال مُحَمَّد بن عبدوس: حدثني جعفر بن أحمد عن أشعث رجل كان يخلف العمال بالحضرة قال: كنت أكتب وأخلف أحمد بن مُحَمَّد ابن مدبر، وهو يتولى مصر وأجناد الشام، فأنفذ إلي في عيد من الأعياد سفاتج بمائتي ألف دينار، وأنفذ معها ثلاثين سفطا من دق مصر وطائفها.

وكتب إلي أن أصير بجميع ذلك إلى عبيد الله بن يحيى هدية له، فوصل إلي كتابه في عشية يوم التروية. فقصدت بابه ولقيت "سعدا" حاجبه، وسألته إيصالي إليه، فاعتل علي بضيق الوقت، فعرفته أن معي شيئا مهما: فاستأذن لي، ودخلت فوجدته خالي الوجه، فقال لي حين رآني: خير؛ قالت: خير – أعز الله الوزير – ودفعت إليه الكتاب، وأخرجت الإضبارة بالسفاتج وعملا بأسماء أهلها، ومبلغ المال، وعملا بالأسفاط.

قال: فوقف على الجميع، ثم قال لي: والله، إن علي من الدين ما أحتاج معه إلى عشرة أمثال ما ذكرت، ولكني لا أحب الحمل على أبي الحسن بتغنم هذا المال منه.

وكتب إلى صاحب بيت المال في قبض مال السفاتج والاحتساب به حملا لأحمد بن مُحَمَّد بن مدبر، ودعا بالأسفاط، فجعل يقلبها صنفا صنفا، ويستحسنها، ويرد شدها عليها، حتى مر به سفط سفاتج ومناديل صغار،؛ فتناول منها منديلا صغيرا، فجعله بين يديه، ودعا بغلام، فدفع الأسفاط

إليه، وأمره أن يمضي بها، ويسلمها إلى خازن المتوكل؛ ويأمره بعرضها عليه وتعريفه أن عامل مصر حملها هدية للخليفة.

وروى مُحَمَّد بن جرير الطبري في كتاب "التاريخ" عن الفضل ابن إسحاق الهاشمي أن إبراهيم بن جبريل خرج مع الفضل بن يحيى البرمكي إلى خراسان، وهو كاره للخروج، فأحفظ الفضل ذلك عليه.

قال إبراهيم: فدعاني يوما بعد أن أغفلني حينا، فدخلت إليه، فلما وقفت بين يديه، سلمت فما رد السلام، فقلت في نفسي هذا أول الشر، وكان مضجعا فاستوى جالساً، ثم قال لي: ليفرخ روعك يا إبراهيم، فإن قدرتي عليك منعتني منك، ثم عقد لي على سجستان. فلما حملت خراجها وهبه لي وزادني خمسمائة ألف درهم.

وقال: ثم أنفذني إلى كابل فافتتحتها، وغنمت منها ما لا يوصف فما أخذ مني درهماً (واحداً) منه، ثم استعملني على شرطته. قال إبراهيم: فأحصيت مما صار إلي في الشرطة وغيرها مما كان إلي من الأعمال سبعة آلاف درهم. قال: فاجتمع له عندي من مال الخراج أربعة آلاف درهم. فلما قدمت بغداد، وبنيت داري، استزرته: وسألته أن يشرفني بدخول منزلي والتحرم بطعامي، وليرى أثر نعمته علي، فأجابني إلى ذلك فأعددت له الهدايا والطرف، وآنية الذهب والفضة، وجعلت الأربعة الآلاف ألف في ناحية من الدار فلما جاءني وجلس قدمت إليه ما أعددته له من الهدايا فأبى أن يقبل منها شيئا وقال لي: "لم آتك لأسلبك" فقلت: إنما هي نعمتك أيها الأمير، قال: ولك عندنا مزيد. فلم يأخذ من جميع تلك الهدايا إلا سوطا

سجزيا. وقال: هذا من آلة الفرسان؛ فقلت له، وأومأت إلى المال: هذا مال الخراج فقال: هو لك! فأعدت عليه القول، فقال: أما لك بيت يسعه! وسوغه لي وانصرف.

الباب التاسع

في ذكر شيء من أشعار من قصرت يده عن الهدية فاقتصر على الدعاء واعتمد على الشكر والثناء

حدثنا علي بن حيان الأهوازي قال: قال لي الحسن بن دعبل: وافى النوروز في بعض السنين وما عندي شيء أرتضيه هدية لمحمد بن واصل التميمي، فكتبت إليه:

الجود يغرق في المنهل من ديمك	والمجد مفتخر بالغر من شيمك
أما ترى غرة النوروز مشرقة	كأنها بعض ما تسديه من كرمك
يوم جديد وعز أنت لابسه	فافخر بمجدك إن الملك في ذممك
تذل في عزك الأيام صاغرة	وتغرق الراسيات الشم في همك
الدهر طوعك، والدنيا بأجمعها	في راحتيك، وأهل الأرض في نعمك
هذي هدية عبد أنت ملبسه	ثوب الغنى فاقبل الميسور من خدمك

فلما قرأ الأبيات استخفه الطرب، وحركته الأريحية، فوقع تحت كل بيت منها ألف درهم، ودابة وخلعة، وأحضرني جميع ذلك، فأقمت يومي عنده، وانصرفت بما ذكرت.

وحدثنا الإيذجي القاضي: أنه كتب إلى بعض الرؤساء في يوم مهرجان هذين البيتين:

وافــق المهرجــان والعيــد مــني رقــة الحــال وهــو داء الكــرام

فاقتصــرنا علــى الــدعاء وفيــه عــون صــدق علــى قضــاء الــذمام

فوقع على الرقعة: "هذا القول يستحسن من المساكين، وجوابه أن تقول: صنع الله لك". فلم تمض عليه إلا أيام يسيرة حتى اجتاحته جائحة من السلطان أتت على ماله، وألجأته إلى سؤال الناس.

وحدثنا ابن أبي خالد قال: قال أبو علي البصير كتبت إلى الفتح ابن خاقان في يوم مهرجان:

إني جعلــــت هــــديتي في المهرجــان إليــك شــكري

لمــــا تعــــذر واجــــب فســح التعــذر فيــه عــذري

فــإذا أجــزت علــى اســم مــن وافــــت هديتــــه بــــبر

فــــأدر علــــى اسمــــي دارة واكتــب عليــه طلــيح فقــر

فضحك وقال: وقعوا على اسمه مائتي دينار وخلعة.

قال أبو هفان: كتبت إلى بعض إخواني في يوم النوروز:

دخلــــت الســــوق أبتــــاع وأســــتطرف مــــا أهــــدي

فمــــا اســــتطرفت للإهــــدا ء إلا طــــرف الحمــــد

إذا نحــــن مــــدحناك قضــــينا حرمــــة المجــــد

ونشــــر المــــدح في مثــــل ك أذكــــى مــــن ثنــــا النــــد

وكتب بعض الشعراء، وكان ممتحنا إلى رجل جليل في يوم نوروز:

جعلـــت فـــداك للنـــوروز حـــق وأنـــت علـــي أعظـــم منـــه حقـــا

ولـــو أهـــديت فيـــه جميـــع ملكـــي لكـــان جليلـــه لـــك مســـتدقا

فأهـــديت الثنـــاء بـــنظم شـــعر وكنـــت لـــذاك مـــني مســـتحقا

لأن هديـــــة الألطـــــاف تفـــــنى وإن هديـــــة الأشـــــعار تبقـــــى

وحدثنا جحظة قال: دخلت على أبي الصقر بن بلبل، وهو وزير في يوم نوروز، فقال: أين هدية النوروز يا جحظة؟ فقلت: "في صدري أيد الله الوزير" قال: "أحب الهدايا هاتها"، فأنشدته: ب"أبي الصقر" علينا=نعم الله جليله

ملـــــك في عينـــــه الـــــدن يا لراجيـــــــــه قليلـــــــــه

فأمر لي بمائتي دينار، وخلع علي، وحملني.

الباب العاشر

في ذكر شيء من هدايا ملوك الأطراف للسلطان ومكاتبتهم إياه

حدثنا أبو العباس أحمد بن أبي خالد عن أبيه، عن جده أحمد بن أبي خالد وزير المأمون قال: كتب ملك الهند إلى المأمون مع هدية أهداها إليه: من رهمى ملك الهند، وعظيم أركان الشرق، وصاحب بيت الذهب وألوان الياقوت وفرش الدر.

والذي قصره مبني من العود الذي يختم عليه، فيقبل الصورة قبول الشمع، والذي توجد رائحة قصره من عشرة فراسخ.

والذي يسجد له إمام البد الذي وزنه ألف ألف مثقال من ذهب، وعليه مائة ألف حجر من الياقوت الأحمر والدر الأبيض.

والذي ركب في السعادة في ألف موكب وألف راية مكللة بالدر، تحت كل راية فارس معلمين بالحرير والذهب.

والذي في مربطه ألف فيل خزائمها أعنة الذهب.

والذي يأكل في صحاف الذهب على موائد الدر، والذي في خزائنه ألف تاج وألف حلة جوهر لألف ملك من آبائه، والذي يستحى من الله أن يراه خائنا في رعيته إذا اختصه بالأمانة عليهم والرئاسة فيهم.

إلى عبد الله ذي الشرف والرئاسة على أهل مملكته.

أما بعد فإن الذي تقدم به ذكرنا، أيها الأخ، من الملك والشرف والثروة، فما خطر ما ترتحل به الأوقات وتتخرمه الساعات ذهابا وزوالا والخطر الذي يجب على المستودعين من الله فضيلة العقل والاعتداد به، والمكاثرة له. ولكنا جرينا على ما جرت به سنة الملوك قلبنا، ولم نجهل أن الله له الشرف الذي يفوت الألسن ذكره، فإن الابتداء بتمجيده من أفضل الاعتداد، ولكنا أجللناه عن الافتتاح بذكره إلا في مواقف المناجاة له عابدين.

وأخبارك ترد علينا بفضيلة لك في العلم لم نجدها لغيرك، ونحن شركاؤك في المحبة والرغبة، وإن في أفئدتنا من ذلك ما لم نزل به لله بالفضل ذاكرين. وقد افتتحنا استهداءك بان وجهنا إليك كتابا ترجمته: "صفو الأذهان"؛ والتصفح له يسعد على صواب التسمية، وبعثنا إليك لطفا بقدر ما وقع منا موقع الاستحسان له، وإن كان دون قدرك.

ونحن نسألك، أيها الأخ، أن تنعم في ذلك بالقبول، وتوسع عذرا في التقصير.

وكانت الهدية جام ياقوت أحمر فتحته شبر في غلظ الإصبع مملوءا دار، وزن كل درة مثقال والعدد مائة؛ وفراشا من جلد حية تكون بوادي الديبراج، تبتلع القيل؛ ووشى جلدها دارات سود كالدراهم في أوساطها نقط بيض، لا يتخوف من جلس عليها السل، وإن كان به سل وجلس عليها سبعة أيام برئ؛ ومصليات ثلاثا بوسائدها من جلد طائر يقال له السمندل

موشى إذا طرحت في النار لم تحترق فراوزها در؛ ومائة ألف مثقال عود هندي، يختم عليه فيقبل الصورة؛ وثلاثة آلاف منا من كافور محبب، كل حبة أكبر من اللوزة؛ وجارية طولها سبة أذرع تسحب شعرها لها أربعة ضفائر طل كل شفر من أشفارها إصبع، يبلغ إذا أطرقت نصف خدها، ناهد؛ لها ثماني عكن في نهاية الحسن والجمال ونقاء البياض.

وكان الكتاب مكتوباً في لحاء شجرة تنبت بالهند يقال لها الكاذي لونه إلى الصفرة، والخط لازورد مفتح بذهب.

فأجابه المأمون: من عبد الله "عبد الله" الإمام المأمون أمير المؤمنين الذي وهب الله له ولاية الشرف بابن عمه النبي المرسل ﷺ وعلى ذكره التصديق بالكتاب المنزل.

إلى ملك الهند وعظيم من تحت يده من أركان الشرق، سلام عليك فإني أحمد إليه الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلي على مُحَمَّد عبده ورسوله وعلى أهل بينه.

وصل كتابك فسررت لك بالنعمة التي ذكرت ووقع إتحافك إيانا الموقع الذي أملت من قبول ذلك؛ ولولا أن السنة لنا جارية بترك تقديم من لم يكن لنا على الشريعة مواليا ما تركنا ما يحسن من مبرتك بالتقديم والاعتذار فهذا أحد التقديمين، وأنت له منا أهل.

وقد أهدينا إليك كتابا ترجمته "ديوان الأدب وبستان نوادر العقول" ومطالعتك ترجمته تحقق عندك فضيلة النعمة. وجعلنا لذلك عنوانا من الهدية وهو لطف استقللنا قدره لك؛ ولو كانت الملوك تتهادى على أقدارها لما

اتسعت لذلك خزائنها؛ وإنما يجرى ذلك بينها على قدر تدل عليه النية بالتوطين – عن شاء الله تعالى – وكانت الهدية فرسا بفارسه وجميع آلاته من عقيق، ومائدة جزع فيها خطوط سود وحمر وخضر، على أرض بيضا، فتحتها ثلاثة أشبار وغلظها إصبعان، قوائمها ذهب؛ وخمسة أصناف كسوة بياض مصر، وخز السوس، ووشى اليمن، وملحم خراسان، والديباج الخسرواني وفرش قرمز (وفرش) سوسنجرد ومائة طنفسة حيرية بوسائدها.

كل ذلك خز وفرش خز سوسي، مائة قطعة من كل صنف.

وجام زجاج فرعوني فتحته شبر؛ في وسطه صورة أسد نبات، وأمامه رجل قد برك على ركبتيه، وفوق السهم في القوس نحو الأسد.

وكانت المائدة والجام مما أخذ من خزائن بني أمية؛ وكان الكتاب في طومار ذي وجهين؛ وغلظ الخط إصبع.

وحدثنا الوراق المراغي قال: كتبت برتا بنت الأوتاري ملكة فرنجة إلى المكتفي كتابا، ومعه هدايا شرحتها وكان الكتاب: – حفظك الله لسلطانه – أيها الملك الجيد العهد، القوي السلطان، من كل أعدائك، وثبت لك ملكك، وأدام سلامتك في بدنك ونفسك، منذ الآن إلى الأبد.

أنا برتا بنت الأوتاري، الملكة على جميع ملك الفرنجيين، أقرأ يا سيدي عليك السلام. واعلم أنه جرت بيني وبين ملك إفريقية صداقة لأني لم أكن أتوهم أن ملكا يكون فوقه يملك الأرض إلى هذه الغاية. فإن مراكبي كانت خرجت فأخذت مراكب ملك إفريقية؛ وكان رئيسها خادما يقال له "علي" أسرته ومائة وخمسين رجلا كانوا معه، في ثلاثة مراكب؛ ووجدته عاقلا فهما،

فأعلمني أنك ملك على جميع الملوك. وقد كان صار إلى مملكتي خلق كثير لم يصدقني منهم عنك إلا هذا الخادم الذي يحمل كتابي إليك. وقد بعثت معه هدايا مما في بلدي، جعلتها تكرمة لك واستجلابا لمودتك؛ وهي: خمسون سيفا، وخمسون ترسا، وخمسون رمحا فرنجية، وعشرون ثوبا منسوجة بالذهب؛ وعشرون خادما، وعشرون جارية، وعشرة أكلب كبار لا تطيقها السباع، وسبعة بزاة، وسبعة صقور، ومضرب حرير بجميع آلاته؛ وعشرون ثوبا معمولة من صوف تكون في صدف يخرج من البحر يتلون ألوانا في كل ساعة من ساعات النهار، وثلاثة أطيار تكون ببلاد فرنجة، إذا نظرت إلى الطعام والشراب المسموم صاحت صياحا منكرا، أو صفقت بأجنحتها حتى يعلم بذلك. وخرز تجتذب به النصول والأزجة بعد بناء اللحم عليها بغير وجع.

وعرفني هذا الخادم أن بينك وبين ملك الروم المقيم بقسطنطينية صداقة. وأنا أوسع منه سلطانا وبلدا، وأكثر جنودا؛ لأن سلطاني على أربع وعشرين مملكة؛ كل مملكة لسانها مخالف للسان المملكة التي تليها؛ وفي مملكتي مدينة رومية العظمى.

وأنا أسأل الله العون على مصادقتك والصلح بيننا ما أحببت. فإن الأمر في ذلك إليك. وقد حملت هذا الخادم سرا يقوله لك إذا رأى وجهك، وسمع كلامك، ليكون هذا السر بيننا لا أحب أن يقف عليه غيري وغيرك. وعليك أكبر سلام وعلى جميع من معك؛ وكتب الله عدوك، وجعله وطاء قدميك. والسلام.

الباب الحادي عشر

في ذكر هدايا النوكي وتحف المتخلفين

حدثنا جحظة قال: كان ابن الكلبي الإخباري نهاية في التخلف والركاكة والنوك والبلادة؛ وكان عبيد الله بن يحيى بن خاقان يعنى به؛ فقلده الخبر بسر من رأى فكتب إلى المتوكل في بعض الأيام: اعلم، أمير المؤمنين، أطال الله بقاه أن امرأتي أم ولدي حسن –فديته – خرجت ومعها حبتها فلانة ابنة فلان إلى البستان الفلاني، وأن حبتها عربدت عليها، فضربت صدغها بقنينة نبيذ ففتحته فتحا عظيما. فصحف القارئ على المتوكل، فقال: صدعها (بالعين) ، فضحك المتوكل، وقال: ما بقى هذا غاية في الفضيحة.

قال جحظة: ولما مات خلف ابنه "حسنا"، وكان يفضله في التخلف، ويوفى عليه في البلادة ويتقدمه في الحمارية، فحدثني بعض الكتاب، قال:

دعاني في يوم شديد الحر فأقعدني في خيش غير مبلول على فراش أرمني كثير التراب، وقدم لي فجلية حارة، وسقاني نبيذا تمريا، متغير الرائحة، شديد الحرارة، وكان نقلنا تمرا شهريزا وحبة الخضراء، ثم قال لي: أعلمت أن أبى – رحمه الله وقد فعل، وأبقى والدتي وأيدها – لما مات ندم الخليفة أشد ندامة؟ قلت: ولم أقتله؟ قال: لا، قلت: فمات في حبسه؟ قال: لا، قلت: أفكان صادره فلما أخذ ماله اغتم فمات؟ قال: لا قلت: فما معنى ندم الخليفة، وقد مات أبوك حتف أنفه؟ قال: لا أدري، ولكن كذا حدثني ستي أمه

العزيزة – جعلني الله وإياك فداها –.

قال: وبلغه أن عبيد الله بن سليمان ابتاع خادما أسود طباخا، فتوهم بركاكته أنه مزين، فكتب إلى عبيد الله رقعة فيها: أنا – أسعد الله الوزير – وإن لم أكن من العامة ولا الخاصة، فإنني أشفق على الوزير، وأحبه، وأراعي أموره، وأشتهي ما عاد بصلاح حاله، ولما اتصل بي خبر الخادم الذي اشتراه – عرف الله الوزير بركته وعضده بحياته – سررت سرورا شديدا حتى تجاوزت الحد، وخرجت عن الحق، وطاش عقلي في هدية تشاكله، فمن الله بها علي، وسهلها للوزير ببركتي عليه، وهي جونة كانت لمزين الشيخ – ﷺ وأيد المزين فإنه باق – فاخترت من جملة ما فيها موسى ما مشى على رأس أحد بعد الشيخ، ويمشي على رأس الوزير بمشيئة الله تعالى، ومشطا ما اختلف في غير لحية الشيخ، ويختلف في لحية الوزير – أكرمه الله – ومناقشا ما نتف شارب أحد بعد الشيخ، وينتف شارب الوزير، ومحاجم ما وقعت على قفا أحد مذ مات الشيخ، وتقع على قاف الوزير – جعلت فداه – ومشراطا ما شق قفا أحد غير الشيخ ويشق قفا الوزير – بعون الله وقوته –.

وجعلت هذه التحفة في منديل مختوم نقش خاتمه حسن بن الكلبي بالله لا يشرك. فرأى الوزير في قبول هذه الهدية الظريفة التي تشبه وتليق به موفق – إن شاء الله تعالى–.

فلما وصلت الرقعة والهدية إلى عبيد الله، ووقف على الجميع استطير غضبا، وأمر بإحضار رسوله ليعاقبه، فلما دخل إليه، وعلم ما يراد به، قال: أيد الله الوزير، لا تظلمني بالعقوبة، فإني ألقى من جهل هذا الرجل وقلة

عقله ونوكه، في كل يوم أضعاف هذا.

فصدقه جميع من كان في المجلس ولم يعاقبه، وتقدم بإخراج الخادم من داره، فقيل له: إنه نهاية في صنعة الطعام، فقال: والله لا أكلت من طعام طباخ ظن به أنه حجام.

وحدثنا أحمد بن جعفر قال: كان إسحاق بن أيوب التغلبي يحب بدعة جارية عريب المغنية حبا يتجاوز فيه حب المجنون ليلى وعروة لعفراء وبذل في ثمنها مالا جليلا، لا نعلم أن مثله بذل في ثم جارية بوجه ولا سب، فامتنعت مولاتها من بيعها. فلما يئس من ذلك كان يهدى إليها الهدايا النفيسة إلا انه ربما أهدى إليها شيئا يستجهله الناس، ويستركون عقله.

من ذلك أنه أهدى إليها وهو مقيم بديار ربيعة مكبة ذهب في منديل مختوم، وفي المكبة نصف وسط ذكر أنه استطابه فتنغص لهابه، فما وصل إليها حتى تغير فلم يكن للكلب فيه مستمتع.

ومن ذلك أيضا أنه أهدى إليها هدية جليلة فيها غلام من أحسن الغلمان قدا ووجها قد راهق أو قارب ذلك، فاستجهله كل من عرف الخبر، واتصل بالبسامي ذلك فقال:

عجب الناس من جهالة إسحا ... ق وفعل أتاه غير جميل

حين أهدى إلى الغزالة ظبيا ... ذا قوام لدن وخد أسيل

وفم مشرق الثنايا وألحا ... ظ مراض خلال طرف كحيل

أتراها تعف عنه إذا ما ... خلوا للعناق والتقبيل

وكـأني بـذيل "بدعـة" قـد صـا ر طريقـا للقرطـق المحلـول

قلـت: لا تعجبـوا فـإن لـه ذع ـرا صـحيح القيـا غـير عليـل

بعـدت دارهـا، وقـام عليـه فاشـتهى أن سـكها برسـول

وحدثنا أبو القاسم علي بن أحمد الأصبهاني قال: كان عندنا بأصبهان رجل حسن النعمة، واسع النفس، كامل المروءة، يقال له: سماك بن النعمان وكان يهوى جارية مغنية من أهل أصبهان، لها قدر ومعنى تعرف "بأم عمرو" فلإفراط حبه إياها وصبابته بها، وهب لها عدة من ضياعه، وكتب عليه ذلك كتبا، وحمل الكتب إليها على بغل؛ فشاع الخبر بذلك، وتحدث الناس به واستعظموه.

وكان بأصبهان رجل متخلف بين الركاكة، يهوى مغنية أخرى، فلما اتصل به ذلك ظن بجهله وقلة عقله أن "سماكا" إنما أهدى إلى "أم عمرو" جلودا بيضاء لا كتابة فيها، وأن هذا من الهدايا التي تستحسن ويجل موقعها عند من تهدى إليه، فابتاع جلودا كثيرة، وحملها على بغلين لتكون هديته ضعف هدية "سماك"، وأنفذها إلى التي يحب.

فلما وصلت الجلود إليها، ووقفت على الخبر فيها تغيظت عليه، وكتبت إليه رقعة تشتمه فيها، وتحلف أنها لا كلمته أبدا، وسألت بعض الشعراء أن يعمل أبياتا في هذا المعنى لتودعها الرقعة، ففعل، وكانت الأبيات:

لا عـاد طوعـك مـن عصـاكا وحرمـت مـن وصـل مناكـا

فلقـد فضـحت العاشـقي ن بقـبح مـا فعلـت يـداكا

أرأيـــت مـــن يهـــدى الجلـــو د إلى عشـــــيقته ســـــواكا

وأظـــــن انـــــك رمـــــت أن تحكـــى بفعلـــك ذا "سماكـــا"

ذاك الـــذي أهـــدى الضـــيا ع "لأم عمـــــرو" والصـــــكاكا

فبعثـــــت منتنـــــة كـــــأن ك قـــد مســـحت بهـــن فاكـــا

مـــــن لي بقربـــــك يا رقـــــي ع ولســـت أهـــوى أن أراكـــا

لكـــــن لعلـــــي أن أقـــــط ع مـــا بعثـــت علـــى قفاكـــا

وحدثنا الصولي قال: كتب بعض عمال "الحجاج" إليه: أما بعد، فقد وجهت إلى الأمير ثوب خز أحمر أحمر أحمر؛ فأجابه "الحجاج": قد وصل الثوب فانصرف معزولا، فإنك أحمق أحمق أحمق!.

وحدثنا ابن أبي خالد عن حماد بن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال: غنى أبي يوما الرشيد بهذا الشعر:

تخـيرت مـن نعمـان عـود أراكـة "لهنـد" فمـن هـذا يبلغـه "هنـدا

وناولتهـا المسـواك والقلـب خـائف وقلـت ألا يا "هنـد" أهلكتنـا وجـدا

فقال الرشيد: قبح الله هذا عاشقا يهدي لعشيقته مسواكا ثم يمن به عليها.

فقال الأصمعي – وكان حاضرا –: غنها يا أمير المؤمنين قد أنكرت ما أنكرت، فقالت في ذلك شعرا قال: أو تعرف الشعر؟ قال: نعم! وأنشده:

فمـدت يـدا في حسـن دل تنـاولا إليـه وقالـت: لم أخـل مثـل ذا يهـدى

فقال الرشيد صدقت والله، انشدني بقية الشعر، فأنشده:

خليلـــي مـــرا بارك الله فيكمـــا وإن لم تكن "هند" لأرضكما قصدا

وقـولا لهـا: لـيس الطريـق أجـازنا ولكننـــا جئنـــا لنلقـــاكم عمـــدا

غـدا يكثـر البـاكون منـا ومـنكم وتـزداد داري مـن ديباركـم بعـدا

فـإن شـئت حرمـت النسـاء سـواكم وإن شـئت لم أطعـم لذيـذا ولا بـردا

فقال الرشيد: أحسن محا بهذا ما سلف من هدية المسواك. وأجاز الأصمعي.

وحدثنا أبو عبد الله الأسود المصري قال: كان عندنا بالفسطاط شويعر ربما أصاب المعنى باللفظ المهجن، فاتصل به أن عند صديق له مغنية يهواها يقال لها "زادمهر" فأهدى إليه وردا ونبيذا وكتب إليه:

شـــراب مشـــبه بـــول الغـــزال وورد مثـــل أســـرام البغـــال

بعثتهـــا لتشـــرب ذا علـــى ذا بأكمـــل غبطـــة وأســـر حـــال

وقـــد خـــبرت عنـــدك "زادمهـــر" تجـــاوب بالجفـــاف وبالثقـــال

فأنـــت مـــن النســـا إن لم ســـكها ضـروب السـك وهـي مـن الرجـال

ومن النوكي الذين أجابوا من أهدى إليهم عند هديتهم بشعر: "عبدون" أخو "صاعد بن مخلد" أهدى إليه ابن منارة في يوم مهرجان كمثرى ورمانا، فأحضر بعض كتابه، وقال له: أجب الرجل عن هديته قال: وبماذا أجيبه؟ فقال: بشعر تقوله فيه. قال: ما أحسن أقول الشعر، ولا تعاطيت قوله قط، فاغتاظ عليه غيظا شديدا. وقال: قم لعنك الله، وأنت كاتبي، وما تحفظ

التسع الطوال، ولا قصيدة حفص بن معدى كرم التي يقول فيها:

أما ترى الشمس حلت الجملا (بالجيم)

ولا غيرها من أشعار الشعراء، ثم قدم الدواة وكان يظن أنه شاعر فكتب:

قـــد أتتنـــا هـــديتانك يا خليلـــي في يـــوم مهرجانـــك

وأكلنـــا مـــن كمثـــراك ورمانـــك فأنـــت جايخـــاني وأنا جايخانـــك

وأنفذ الرقعة إلى صاحب الهدية.

قال: وأهدت امرأة من بعض مياسير البصرة إلى حبتها سراويل فاستقبح ذلك سائر النساء الظراف، وقلن: سلفت بها. فقال في ذلك بعض الشعراء:

يا ويـــح مـــن شـــانت الظرفـــا وغلطـــت غلطـــة جزافـــا

أهـــدت ســـراويلها لبيســـا مرقهـــا قـــد شـــق وصـــافا

إلى الـــتي ســـاحقت زمـــانا فلـــم تجـــد عنـــدها خلافـــا

فقـــال كـــل الظـــراف قـــولا يوســـعه كلنـــا اعترافـــا:

نقســـم بالبيـــت والمصـــلى ومـــن ســـعى فيهمـــا وطـــاف

لينـــتجن الطـــلاق هـــذا لمـــن رجـــا العـــرس والزفافـــا

فقلـــت: مـــا ســـلفت ولكـــن أهـــدت لشـــق أســـها غلافـــا

وقال أيضا في ذلك:

ظريفـــة أهـــدت إلى حبتهـــا مـــن القلـــق

رزيمـــــــــــة ملفوفـــــــــــة فيهـــــا ســـــريويل خلـــــق

فيـــــــه لمـــــــن قلبـــــــه خطـــــوط حـــــيض وعـــــرق

قـــــــد لبســـــــته زمنـــــــا حـــــتى تهـــــرى وانســـــحق

وكـــــان قـــــد صـــــابرها فيـــــه صـــــديق فـــــانفتق

فقـــــال مـــــن أبصـــــره: أفـــــا وتفـــــا وبصـــــق

فلطمـــــــــت حبتهـــــــــا ونفـــــــت مـــــن الحنـــــق

وأقســـمت ب (قـــل هـــو الـــل هـــــ) يمينـــــا، والفلـــــق

لا ســـــــاحقتها أبـــــــدا فيـــــه ولـــــو قيـــــل: احـــــترق

ولا أرتهـــــــا وجههـــــــا إلا علـــــى ظهـــــر الطـــــرق

فأصـــــــبحت حقتهـــــــا مفتوحـــــــة بـــــــلا طبـــــــق

ذيل الكتاب

أخبار التحف والهدايا في كتب التاريخ والأدب (مرتبة حسب وفيات مؤلفيها)

١- عيون الأخبار - لابن قتيبة (المتوفي سنة ٢٧٦ هـ) مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٨ هـ_ ١٩٣٠ م.

الهدايا

قال: حدثنا يزيد بن عمرو قال: حدثنا عمير بن عمران قال: حدثنا الحارث بن عتبة عن العلاء بن كثير عن مكحول قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تصافحوا فإن المصافحة تذهب غل الصدور, وتهادوا فإن الهدية تذهب بالسخيمة) .

وحدثني أبو الخطاب قال: حدثنا بشر بن النفضل عن يونس عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: (لو أهديت لي ذراع لقبلت, ولو دعيت لي كراع لأجبت) .

وفي حديث آخر: (تهادوا تحابوا فإن الهدية تفتح الباب المصمت وتسل سخيمة القلب) .

قال: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله عن الأصمعي قال: سمعت نافعا يحدث قال: كان ابن عمر يقول: "الهدايا من أمراء الفتنة. " وروى الزبير بن بكار عن عمه قال: كان الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة يجلس وعمر بن عبيد الله بن صفوان, ما يكادان يفترقان, وكان عمرو يبعث إلى الحارث في

كل يوم بقربة من ألبان إبله, فاختلف ما بينهما فأتى عمرو أهله (فقال) : لا تبعثوا للحارث باللبن فإنا لا نأمن أن يرده علينا, وانقلب الحارث إلى أهله فقال: هل أتاكم اللبن؟ قالوا: لا, فلما راح الحارث بعمرو قال: يا هذا لا تجمعن علينا الهجر وحبس اللبن, فقال: أما إذا قلت هذا فلا يحملها إليك غيري, فحملها من ردم بنى جمح إلى أجياد * * * وبعث النضر بن الحارث إلى صديق له يسكن عبادان بنعلين مخصوفتين وكتب غليه: بعثت غليك بهما وأنا أعلم أن بك عنهما غنى, ولكني أحببت أن تعلم أنك منى على ذكر.

وقال بعض الشعراء:

إن الهديـــــــة حلـــــــوة كالســـــحر تجلـــب القلـــوبا

تـــدنى البغـــيض مـــن الهـــوى حـــــتى تصـــــيره قريبـــــا

وتعيـــــد مضـــــطغن العـــــدا وة بعـــــد نفرتـــــه حبيبـــــا

أهدى رجل إلى صديق له عبدا أسود, فكتب إليه: أما بعد, فلو علمت عددا أقل من واحد أو لونا شرا من الأسود لبعثت به إلى. وهذا نظير قول الآخر وقد سئل كم لك من الولد؟ قال: خبيث قليل, قيل: وكيف؟ فقال:

لا أقل من واحد ولا أخبث من بنت.

* * *

أهدى رجل إلى بعض الأمراء هدية, فكتب إليه الأمير: قد قبلتها بالموقع ورددتها بالإبقاء.

وكان ابن عباس يقول: من أهديت إليه هدية وعنده قوم شركاؤه فيها,

فأهدى غليه صديق ثيابا من ثياب مصر وعنده أقوام فأمر برفعها, فقال له رجل: ألم تخبرنا أن من أهديت غليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها! فقال: إنما ذلك فيما يؤكل ويشرب ويشم, فأما في ثياب مصر فلا.

* * *

وقال خلف الأحمر:

أتاني أخ مـــن غيبـــة كـــان غائبهـــا وكنـــت إذا مـــا غـــاب أنشـــده ركبـــا

فجـــاء بمعـــروف كثـــير فدســـه كمـــا دس راعـــى الســـوء في حضـــنه

فقلـــت لـــه هـــل جئتـــني بهديـــة فقـــال بنفسي قلت أتحف بها الكلبا

هـي الـنفس لا أرثـى لهـا (مـن) بليـة ولا أتمـــنى أن رأيـــت لهـــا قـــرابا

أهدى رجل إلى صديق له وكتب غليه: الأنس سهل سبيل الملاطفة فأهديت هدية من لا يحتشم, على من لا يغتنم.

* * *

وحدثنا أحمد بن الخليل قال: حدثنا أبو سلمة عن حبابة بنت عجلان عن أمها أم حفص عن صفية بنت جرير عن أم حكيم بنت وداع الخزاعية قالت: قلت للنبي ﷺ: ما جزاء الغنى من الفقير؟ قال: (النصيحة والدعاء) قلت: يكره رد اللطف؟ قال: (ما أقبحه, لو أهديت على ذراع لقبلت, ولو دعيت على كراع لأجبت, تهادوا فإنه يضعف الحب ويذهب بغوائل القلوب) .

وحدثني مُحَمَّد بن سلام الجمحي قال حدثني خلاد بن يزيد الباهلي قال:

أهديت ليزيد بن عمر بن هبيرة في يوم المهرجان هدايا وهو أمير العراق فصفت بين يديه, فقال خلف بن خليفة وكان حاضرا:

كـــأن شمـــاميس في بيعـــة تســـبح في بعـــض عيـــداتها

وقـــد حضـــرت رســـل المهرجـــا ن وصـــفوا كـــريم هـــدياتها

علـــوت برأســـي فـــوق الـــرءوس فأشخصـــته فـــوق هاماتهـــا

لأكســـب صـــاحبتي صـــحفة تغـــيظ بهـــا جاراتهـــا

فأمر له بجام من ذهب, ثم أقبل يفرق بين جلسائه تلك الهدايا, وينشد:

لا تـــبخلن بـــدنيا وهـــي مقبلـــة فلـــيس ينقصـــها التبـــذير والســـرف

فـــإن تولـــت فـــأحرى أن تجـــود بهـــا فالحمـــد منهـــا إذا مـــا أدبـــرت خلـــف

* * *

كتب رجل من أصحاب السلطان على بعض العمال يستهديه مهارة من ناحية عمله. فكتب إليه العامل: أما المهارة فإن أهل عملنا يصونونها صيانة الأعراض, ويسترونها ستر الحرم, ويسومون بها مهور العقائل, وأنا مستخلص لك منها ما يكون زين المربط وحملان الصديق, إن شاء الله.

وقال بعضهم: الهدية إذا كانت من الصغير إلى الكبير, فكلما لطفت ودقت كان أبهى لها, وإذا كانت من الكبير على الصغير, فكلما عظمت وجلت كان أوقع لها وأنجع.

وكتب أبو السمط:

بدولـــة جعفـــر حســـن الزمـــان لنـــا بـــك كـــل يـــوم مهرجـــان

ليـــوم المهرجـــان بـــك اختيـــال وإشـــــراق ونـــــور يســـــتبان

جعلـــت هـــديتي لـــك فيـــه وشـــيا وخـــير الوشـــى مـــا نســـج اللســـان

* * *

أهدى حسام بن مصك نعلا رقيقة, فجعل قتادة يزنها بيده, وقال: إنك تعرف سخف عقل الرجل في سخف هديته.

وقال الشاعر:

ســـقى حجاجنـــا نـــوء الثـــراي علـــى مـــا كـــان مـــن بخـــل ومطـــل

هـــم جمعـــوا النعـــال وأحرزوهـــا وســـــدوا دونهـــــا بابا بقفـــــل

إن أهـــد نفســـي فهـــي مـــن ملكـــه أو أهـــد مـــالي فهـــو مـــن مالـــه

* * *

لما قدم معاوية المدينة منصرفاً عن مكة, بعث على الحسن والحسين وعبد الله ابن جعفر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن صفوان بن أمية بهدايا من كسى وطيب وصلات من المال, ثم لرسله: ليحفظ كل رجل منكم ما يرى ويسمع من الرد. فلما خرج الرسل من عنده, قال لمن حضر: إن شئتم أنبأناكم بما يكون من القوم, قالوا: أخبرنا يا أمير المؤمنين, قال أما الحسن فلعله ينيل نساءه شيئا من الطيب وينهب ما بقي من حضره ولا ينتظر غائبا. وأما الحسين فيبدأ بأيتام من قتل مع أبيه

بصفين, فإن بقى شيء نحر به الجزر وسقى به اللبن.

وأما عبد الله بن جعفر فيقول: يا بديح اقض به ديني, فإن بقى شيء فأنفذ به على عداتي. وأما عبد الله بن عمر فيبدأ بفقراء بني عدي بن كعب, فإن بقى شيء ادخره لنفسه ومان به عياله. وأما عبد الله بن الزبير فيأتيه رسولي وهو يسبح فلا يلتفت غليه ثم يعاوده الرسول فيقول لبعض كفاته خذوا من: رسول معاوية ما بعث به. وصله الله وجزاه خيرا, لا يلتفت غليها وهى أعظم في عينه من أحد, ثم ينصرف على أهله فيعرضها على عينه ويقول: ارفعوا, لعلى أن أعود بها على ابن هند يوما ما. وأما عبد الله بن صفوان فيقول: قليل من كثير, وما كل رجل من قريش وصل إليه هكذا, ردوا عليه, فإن رد قبلناها. فرجع رسله من عندهم بنحوها مما قال معاوية, فقال معاوية: أنا ابن هند! أعلم من قريش.

* * *

قال يونس بن عبيد: أتيت ابن سيرين فدعوت الجارية, فسمعته يقول: قولوا له: إني نائم –يريد: سأنام–, فقلت: معي خبيص, فقال مكانك حتى أخرج إليك.

قال رجل لبى الدرداء: إن فلانا يقرئك السلام, فقال: هدية حسنة ومحمل خفيف.

وبعث رجل إلى جارية يقال لها "راح" براح وكتب إليها:

قـــل لمـــن يملـــك الملـــو ك وإن كـــان قـــد ملـــك

قـــــد شـــــربناك فاشـــــربي وبعثنـــــا إليـــــك بـــــك

أهدى رجل إلى عبيد بن الأخطل شاة مهزولة, فكتب إليه عبيد:

وهبـــت لنـــا يا أخـــا منقـــر وعجـــــل وأكرمهـــــا أولا

عجـــوزا أضـــر بهـــا دهرهـــا وأنزلهـــا الـــذل دار البلـــى

ســـلوحا حســـبت بأن الرعـــاء ســـقوها الغريقـــون والحـــنظلا

وأجـــدب مـــن ثـــور زراعـــة أصـــاب علـــى جوعـــه ســـنبلا

فـــإن أهـــديت فاكهـــة وجـــديا وعشـــر دجـــائج بعثـــوا بنعـــل

ومســـــواكين طولهمـــــا ذراع وعشـــر مـــن ردىء المقـــل حســـل

فـــإن أهـــديت ذاك ليحملـــوني علـــى نعـــل فـــدق الله رجلـــي

أناس تائهـــــون لهـــــم رواء تغـــيم سمـــاؤهم مـــن غـــير وبـــل

إذا انتســـبوا ففـــرع مـــن قـــريش ولكـــن الفعـــال فعـــال عكـــل

* * *

كتب رجل إلى صديق له: لولا أن البضاعة قصرت بي عن بلوغ الهمة لأتعبت المسابقين على برك. وكرهت أن تطوى صفيحة البر, وليس لي فيها ذكر, فبعثت إليك بالمبتدأ بيمنه وبركته والمختوم بطيبه ورائحته: جراب ملح, وجراب أشنان

أهدى الطائي على الحسن بن وهب قلما وكتب إليه:

قـــد بعثنـــا إليـــك أكرمـــك الـــل هـــ بشـــيء فكـــن لـــه ذا قبـــول

لا تقسه على ندى كفك الغم ر ولا نيلك الكثير الجزيل

واغتفر قلة الهدية مني إن جهد المقل غير قليل

وبعث أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع بنعل وكتب معها:

نعل بعثت بها لتلبسها تسعى بها قدم إلى المجد

لو كان يمكن أن أشركها جلدي جعلت شراكها خدي

وقال بعض الشعراء في نحو ذلك:

أو ما رأيت الورد أتحفنا به إتحاف من خطر الصديق بباله

لو كان يهدى لامرئ ما لا يرى يهدى لعظم فراقه وزياله

لرددت تحفته عليه وإن علت عن ذاك واستهديت بعض خصاله

وقال المهدي:

تفاحة من عند تفاحة جاءت فماذا صنعت بالفؤاد

والله ما أدرى أأبصرتها يقظان أم أبصرتها في الرقاد

* * *

قال: وكتب بعض العمال إلى صديق له: إني تصفحت أحوال الأتباع الذين يجب عليهم الهدايا على السادة في مثل هذا اليوم والتأسي بهم في الإهداء, وإن قصرت الحال عن قدرك, فرأيتني إن أهديت نفسي فهي ملك لك لا حظ فيها لغيرك ورميت بطرفي إلى كرائم مالي فوجدت أكثرها منك, فكنت إن أهديت شيئا منه كالمهدي مالك إليك ومنفق نفقتك عليك, وفزعت على مودتي وشكري فوجدتها خالصين لك قديمين غير مستحدثين:

ورأيت إن أنا جعلتهما هديتي لم أجدد لهذا اليوم الجديد برا ولا لطفا. ولم اقس منزلة من شكري بمنزلة من نعمتك إلا كان الشكر مقصرا عن الحق, وكانت النعمة زائدة على ما تبلغه الطاقة, ولم أسلك سبيلا ألتمس بها برا أعتد به أو لطفا أتوصل إليه, إلا وجدت رضاك قد سبقني غليه فجعلت الاعتراف بالتقصير عن حقك هدية إليك, وقد قلت في ذلك:

وأزهد من جيفة لم تدع ... لها الشمس من مفصل مفصلا

فأهوت يميني إلى جنبها ... فخلت حراقيفها جندلا

وأهوت يساري لعرقوبها ... فخلت عراقيبها مغزلا

فقلت أبيع فلا مشربا ... تؤدى إلى ولا مأكلا

أم اجعل من جلدها حنبلا ... فأقذر بجنبلها حنبلا

إذا هي مرت على مجلس ... من العجب كبر أو هللا

رأوا آية خلفها سائق ... يحث وان هرولت هرولا

فكنت أمرت بها ضخمة ... بشحم ولحم قد استكملا

ولكن روحا عدا طوره ... وما كنت أحسب أن يفعلا

فعض الذي خانني حاجتي ... ناست أمه تطرها الأعرلا

فلولا مكانك خضبتها ... وعلقت في جيدها جلجلا

فجاءت لكيما ترى حالها ... فتعلم أني بها مبتلى

سألتك لحما لصبياننا ... فقد زدتني فيهم عيلا

فخذها وأنت بها محسن ... وما زلت بي محسنا مجملا

وبعث رجل إلى دعبل بأضحية, فكتب إليه:

بعثـــــــت إلى بأضـــــــحية وكنـــــت حـــــريا بأن تفعـــــلا

ولكنهـــــا خرجـــــت غثـــــة كأنـــــك أرعيتهـــــا حـــــرملا

فـــــإن قبـــــل الله قربانهـــــا فســـبحان ربـــك مـــا أعـــدلا

قيل لرجل قدم من مكة: كيف أثمان النعال بمكة؟ قال: أثمان الجداء بالعراق.

وقال مسلم بن الوليد:

جـزى الله مـن أهـدى الـترنج تحيـة ومـــن بمـــا يهـــوى عليـــه وعجـــلا

أتتنـــا هـــدايا منـــه أشـــبهن ريحـــه وأشـبه في الحسـن الغـزال المكحـلا

ولـــو أنـــه أهـــدى إلى وصـــاله لكـــان إلى قلـــبي ألـــذ وأوصـــلا

***

وكتب رجل إلى صديق له شرب دواء:

تأنـــق في الهديـــة كـــل قـــوم غليـــك غـــداة شـــربك للـــدواء

فلمـــا أن هممـــت بـــه مـــدلا لموضـــع حـــرمتي بـــك والإخـــاء

رأيـــت كثـــير مـــا أهـــدى قلـــيلا لعبـــك فاقتصـــرت علـــى الـــدعاء

وكتب رجل إلى صديق له: وجدت المودة منقطعة ما كانت الحشمة عليها متسلطة, وليس يزيل سلطان الحشمة إلا المؤانسة, ولا تقع المؤانسة إلا بالبر والملاطفة.

حدثني زيد بن أخزم عن عبد الله بن داود قال: سمعت سفيان الثوري يقول: إذا أردت أن تتزوج فأهد للأم. والعرب تقول: من صانع لم يحتشم من كلب الحاجة.

قال ميمون بن ميمون: إذا كانت حاجتك على كاتب فليكن رسولك الطمع. وقال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: نعم الشيء الهدية أمام الحاجة. وقال رؤبة:

لما رأيت الشفعاء بلدوا وسألوا أميرهم فانكدوا

نامستهم برشوة فأفردوا وسهل الله بها ما شددوا

٢- الشعر والشعراء -لابن قتيبة الدينوري (المتوفي ٢٧٦ هـ) طبعة الشيخ أحمد مُحَمَّد شاكر- بمصر ١٣٦٩ هـ.

وكان أبو العتاهية أتى أحمد بن يوسف الكاتب, فحجب عنه, فقال:

متى يظفر الغادي إليك بحاجة ونصفك محجوب ونصفك نائم

وبعث على بعض الملوك بنعل, وكتب إليه:

نعل بعثت بها لتلبسها تسعى بها قدم إلى المجد

لو كان يحسن أن أشركها خدي جعلت شراكها خدي

***

وقال في الهدية:

جزى الله من أهدى الترنج تحية ومن بما يهوى عليه وعجلا

أتتنا هدايا منه أشبهن ريحه وأشبه في الحسن الغزال المكحلا

ولو أنه أهدى على وصاله لكان إلى قلبي ألذ وأفضلا

٣- الموشى -لأبي الطيب مُحَمَّد بن إسحاق بن يحيى الوشاء (المتوفي سنة ٣٢٥ هـ) طبعة ليدن ١٣٠٢هـ- ١٨٨٦ م

باب ذكر الأشياء التي يتطير الظرفاء من إهدائها

فأما الأترج فإن باطنه خلاف ظاهره, وهو حسن الظاهر, حامض الباطن, طيب الرائحة, مختلف الطعم, ولذلك يقول فيه الشاعر:

أهدى له أحبابه أترجة فبكى وأشفق من عيافة زاجر

خاف التلون إذا أتته لأنها لونان باطنها خلاف الظاهر

فرق الميتم من حموضة لبها واللون زينها لعين الناظر

وأما السفرجل, فلأن فيه اسم السفر, وقد قال فيه الشعر:

متحفي بالسفرجل لا أريد السفرجلا

اسمه لو عرفته سفر جل فاعتلى

وقال آخر:

أهدت إليه سفرجلا فتطيرا ومنه وظل متيما مستعبرا

خاف الفراق لأن أول اسمه سفر فحق له بأن يتطيرا

***

وأما السوسن فلأن اسمه السوء, وقال فيه الشاعر:

سوسنة أعطيتنيها وما كنت بإعطائكها محسنه

شطر اسمها سوء فإن جئت بال آخر منها فهو سوء سنه

وأنت إن هاجرتني ساعة قلت: أتت من قبل السوسنه

وقال آخر:

يا ذا الذي أهدى لنا سوسنا ما كنت في إهدائه محسنا

أوله سوء فقد ساءني يا ليت أني لم أر السوسنا

وأما الياسمين فلمبدأ اسمه تطير منه, قال الشاعر:

أهدى حبيبي ياسمينا في من شرة الطيرة وسواس

أراد أن يؤئس من وصله إذ كان في شطر اسمه الياس

***

وقد استحسنوا هدايا كثيرة, وتفاءلوا فيها بقول الشاعر, وإن كان بعضها مما ذكرناه أنهم لا يتهادونه من طريق الظرف, واجتنبوه لعلة التسفيل, وأحبوه من حسن التفول. فمن ذلك الرمان, وهو مما ذكرناه أنهم لا يتهادونه لما فيه من التسهيل, وما يقع فيه من التمثيل. وكذلك الشاهلوج, والنبق, والورد, والبنفسج.

فأما الرمان, فقد قال فيه الشاعر:

أهدت إليه بظرفها رمانا تنبيه أن وصالها قد آنا

قـــال الفـــتى لمـــا رآه تفـــاؤلا: وصـــل يكـــون متممـــا أحيـــانا

رم يـــــرم تشـــــعثي بوصـــــالها لقـــد التفـــاؤل صـــادقا قـــد كـــانا

***

وأما الشاهلوج, فهو فيه النوى, وقد تهاداه لموضع تفاؤل الشاعر به إذ يقول:

أهـــدت إليـــه الآن شـــاهلوجا تنبيـــه أن لـــو جـــاء كـــان ولوجـــا

فمضـــى علـــى فـــأل الهديـــة جاســـرا عمـــدا فصـــار مـــداخلا خريجـــا

***

وأما النبق, فهو يستقبل وقد قال فيه الشاعر:

أيا أحســـــــــننا خلقـــــــــا ومـــــن فـــــات الـــــورى ســـــبقا

تفاءلـــــــــت بأن تبقـــــــــى فأهـــــــديت لنـــــــا النبقـــــــا

فأبقـــــــاك إلـــــــه النـــــــا س مـــــا ســـــرك أن تبقـــــى

وأشـــــــــقى الله شـــــــــانيك وحاشـــــا لـــــك أن تشـــــقى

***

وأما البنفسج أيضا فقد قال فيه الشاعر:

أهـــدت إليـــه بنفســـجا يســـليه تنبيـــــه أن بنفســـــها تفديـــــه

فـــارتاح بعـــد صـــبابة وكآبـــة ورجـــا لحســـن الظـــن أن تدنيـــه

***

وأما الورد فقد تفاءل كثير من الظرفاء. أنشدني بعض الأدباء:

أهـــدى لـــه وردا فـــأخبره أنـــه في الـــــواردين ولم يكـــــن ورادا

فـارتاح مـن فـرح بطيـب وفـوده وعـــدا لـــه ورد الحيـــاء فـــزادا

***

وأهدى بعض الكتاب نعلا وكتب على شراكها:

لي فـــــؤاد شـــــفه الحـــــز ن وأضـــــــناه الصـــــــدود

وهـــــــواي كـــــل يـــــوم هـــــو ينمـــــى ويزيـــــد

وأخبرني من رأى نعلا من فضة أهديت لبعض الظرفاء, عليها مكتوب:

بأبي أنـــت ســـيدي ومنـــاي جعـــل الله والـــدي فـــداكا

لـك خـدي مـن الثـرى لـك نعـلا قـد للنعـل مـن فـؤادي شـراكا

***

وقرأت في تفليج أترجة أهديت لبعض الظرفاء:

هـــي في العـــالم كالشـــم س أضـــــاءت في الـــــبلاد

وهـــي في كـــل كمـــال قـــد علـــت فـــوق العبـــاد

وأخبرني من قرأ في تفليج تفاحة:

أنا للعاشـــــق منســـــوبه أهـــدى لمحبـــوب ومحبوبـــه

***

وحضرت هدية لبعض متطرفات القيان إلى بعض ظرفاء الكتاب وفيها

تفاحة تفليجها مكتوب:

ليس تفاحة بأطيب طيبا من حبيب معانق لحبيب

وأترجة في تفليجها مكتوب:

أهدى هلال لكل يوم إذا بدا الثغر بابتسام

٤- العقد الفريد -لابن عبد ربه ،المتوفي سنة ٣٢٧ هـ) طبع في القاهرة ١٣٦٩ هـ- ١٩٥٠ م

الهدايا

كتب سعيد بن حميد إلى بعض أهل السلطان في يوم النيروز: أيها السيد الشريف, عشت أطول الأعمار, بزيادة من العمر, موصولة بقرائنها من الشكر, لا ينقضي حق نعمة حتى تجدد لك أخرى, ولا يمر بك يوم إلا كان مقصرا عما بعده, موفيا على ما قبله. إني تصفحت أحوال الأتباع الذين تجب عليهم الهدايا إلى السادة فالتمست التأسي بهم في الإهداء, وإن قصرت بي الحال عن الواجب, وإني وإن أهديت نفسي فهي ملك لك, لا حظ فيها لغيرك, ورميت بطرفي إلى كرائم مالي فوجدتها منك. فكنت إن أهديت منها شيئا كمهدي مالك إليك, وفزعت على مودتي, فوجدتها خالصة لك قديمة غير مستحدثة, فرأيت إن جعلتها هديتي لم أجدد لهذا اليوم الجديد برا ولا لطفا, ولم أميز منزلة من الشكر بمنزلة من نعمتك, إلا كان الشكر مقصرا عن الحق والنعمة زائدة على ما تبلغه الطاقة, فجعلت الاعتراف بالتقصير عن حقك هدية إليك والإقرار بما يجب لك برا أتوصل به إليك, وقلت في ذلك:

إن أهـــد مـــالا فهـــو واهبـــه ... وهـــو الحقيـــق عليـــه بالشـــكر

أو أهـــد شـــكرا فهـــو مـــرتهن ... بجميـــل فعلـــك آخـــر الـــدهر

والشـــمس تســـتغني إذا طلعـــت ... أن تستضـــئ بســـنة البـــدر

***

وكتب بعض الكتاب إلى بعض الملوك: النفس لك, والمال منك, والرجاء موقوف عليك, والأمل مصروف نحوك, فما عسى أن أهدى إليك في هذا اليوم, وهو يوم سهلت فيه العادة سبيل الهدايا للسادة, وكرهت أن نخليه من سنته, فنكون من المقصرين, أو أن ندعى أن في وسعنا ما يفي بحقك علينا, فنكون من الكاذبين, فاقتصرنا على هدية تقضى بعض الحق, وتنفي بعض الحقد وتقوم عندك مقام أجمل البر. ولا زلت أيها الأمير دائم السرور والغبطة, في أتم أحوال العافية, وأعلى منازل الكرامة تمر بك الأعياد الصالحة, والأيام المفرحة, فتخلقها وأنت جديد, تستقبل أمثالها فتلقاك ببهائها وجمالها. وقد بعثت الرسول بالسكر لطيبه وحلاوته, والسفرجل لفأله وبركته والدرهم لبقائه عند كل من ملكه ولا زلت حلو المذاق على أوليائك مرا على أعدائك, متقدما عند خلفاء الله الذين تليق بهم خدمتك وتحسن أفنيتهم بمثلك. وقد جمعنا في هذه القصيدة ثناء ومسرة واعتذارا وتهنئة. وهي:

غـــاد في المهرجـــان كأســـا شمـــولا ... وأطعـــــني ولا تطـــيعن عـــــذولا

فهـــو يـــوم قـــد كـــان آباؤك الـــغ ... ر يحلونـــــــه محـــــــلا جلـــــيلا

إن للصـــيف دولـــة قـــد تقضـــت ... وأراك الشـــــتاء وجهـــــا جمـــــيلا

وتجلـــت لـــك الـــرياض عـــن النـــو ... ر فكانـــت عـــن كـــل شـــيء بـــديلا

فتمتـــع باللهـــو لا زلـــت جـــذلا ... ن وطـــرف الزمـــان عنـــك كلـــيلا

لم أجـــد لي هديـــة حـــين حصـــل ... ت كثـــــيرا ملكتـــــه وقلـــــيلا

يعـــــدل الشـــــكر والثنـــــاء وإن لم ... يـــك شـــكري لمـــا أتيـــت عـــديلا

فجعلت الذي أطيق من الشك ... ر على ما عجزت عنه دليلا

يا لها من هدية تقنع المه ... دي إليه ولا تعنى الرسولا

***

وكتب بعض الشعراء إلى بعض أهل السلطان في المهرجان: هذه أيام جرت فيها العادة بألطاف العبيد للسادة وإن الصناعة تقصر عما تبلغه الهمة, فكرهت أن أهدى فلا أبلغ مقدار الواجب فجعلت هديتي هذه الأبيات وهي:

ولما أن رأيت ذوى التصافي ... تباروا في هدايا المهرجان

جعلت هديتى ودا مقيما ... على مر الحوادث والزمان

وعبدا حين تكرمه ذليلا ... ولكن لا يقر على الهوان

يزيدك حين تعطيه خضوعا ... ويرضى من نوالك بالأماني

***

وأهدى أبو العتاهية على بعض الملوك نعلا وكتب معها:

نعل بعثت بها لتلبسها ... تسعى بها قدم على المجد

لو كان يصلح أن أشركها ... خدي جعلت شراكها خدي

وأهدى على بن الجهم كلبا وكتب:

استوص خيرا به فإن له ... عندي يدا لا أزال أحمدها

يدل ضيقي على في غسق ال ... ليل إذا النار نام موقدها

أهدى أحمد بن يوسف ملحا طيبا على إبراهيم بن المهدي وكتب إليه: الثقة بك سهلت السبيل إليك فأهديت هدية من لا يحتشم على من لا يغتنم.

وأهدى إبراهيم بن المهدي إلى إسحق بن إبراهيم الموصلي جراب ملح وجراب أشنان وكتب إليه: لولا أن القلة قصرت عن بلوغ الهمة لأتعبت السابقين إلى برك, ولكن البضاعة قعدت بالهمة, وكرهت أن تطوى صفيحة البر وليس لي فيها ذكر, فبعثت بالمبتدأ به ليمنه وبركته, والمختوم به لطيبه ونظافته, وأما ما سوى ذلك فالمعبر عنا فيه كتاب الله تعالى إذ يقول: (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج) إلى آخر الآية.

***

وكتب إبراهيم بن المهدي على صديق له: لو كانت التحفة على حسب ما يوجبه حقك لأجحف بنا أدنى حقوقك ولكنه على قدر ما يخرج الوحشة ويوجب الأنس وقد بعثت بكذا وكذا.

***

وكتب رجل إلى المتوكل على الله وقد أهدى إليه قارورة من دهن الأترج: إن الهدية يا أمير المؤمنين إذا كانت من الصغير إلى الكبير فكلما لطفت ودقت كانت أبهي وأحسن, وإذا كانت من الكبير إلى الصغير فكلما عظمت وجلت كانت أنفع وأوقع, وأرجو أن لا تكون قصرت بي همة أصارتني إليك ولا أخرني إرشاد دلني عليك, وأقول:

مـــا قصـــرت همـــة بلغـــت بهـــا بابـــك يا ذا النـــدى وذا الكـــرم

حســـبي بوديـــك أن ظفـــرت بـــه ذخـــرا وعـــزا يا واحـــد الأمـــم

***

أهدى حبيب بن أوس الطائي على الحسن بن وهب قلما وكتب معه إليه هذه الأبيات:

قـــد بعثنـــا إليـــك ٬كرمـــك الـــل هـــ بشـــيء فكـــن لـــه ذا قبـــول

لا تقســـه علـــى نـــدى كفـــك الغمـــر ولا نيلـــــك الكثـــــير الجزيـــــل

فاســـــتجر قلـــــة الهديـــــة مـــــنى إن جهـــــد المقـــــل غـــــير قليـــــل

ومن قولنا في هذا المعنى وقد أهديت سلى عنب ومعهما:

أهـــديت بيضـــا وســـودا في تلونهـــا كأنهـــا مـــن بنـــات الـــروم والحـــبش

عـــذراء تؤكـــل أحيـــانا وتشـــرب أح يانا فتعصـــم مـــن جـــوع ومـــن عطـــش

وأهديت حوتين وكتبت معهما:

أهـــــديت ازرق مقـــــرونا بزرقـــــاء كالمـــاء لم يغـــذها شـــيء ســـوى المـــاء

ذكاتهـــا الأخـــذ مـــا تنفـــك طـــاهرة بالـــبر والبحـــر أمـــواتا كأحيـــاء

وأهديت طبق ورد ومعه:

رياحـــــين لريحانـــــة المجـــــد جنتهـــا يـــد التخجيـــل مـــن حمـــرة الخـــد

وورد بـــه حيـــت غـــرة ماجـــد شمائلـــه أذكـــى نســـيما مـــن الـــورد

ووشـــى ربيـــع مشـــرق اللـــون ناضـــر يلـــوح عليـــه ثـــوب وشـــى مـــن الحمـــد

بعثت بها زهراء من فوق زهرة كتركيب معشوقين خدا على خد

وكتبت على كأس:

اشرب على منظر أنيق وامزج بريق الحبيب ريقي

واحلل وشاح الكعاب رفقا واحذر على خصرها الرقيق

وقل لمن لام في التصابي إليك خل عن الطريق

وأنشد أحمد بن أبي طاهر في هذا المعنى:

ما ترى في هدية من فقير حيل ما بينه وبين اليسار

يغرب الناس في الهدايا إلى النا س ويهدى غرائب الأشعار

محكمات كأنها قطع الرو ض تحلت أنواره بالبهار

وأنشد ابن يزيد بن المهلب في المعتمد:

سيبقى فيك ما يهدى لساني إذا فنيت هدايا المهرجان

قصائد تملأ الآفاق مما أحل الله من سحر البيان

وقال آخر:

جعلت فداك للنيروز حق وأنت على أوجب منه حقا

ولو أهديت فيه جميع ملكي لكان جميعه لك مسترقا

وأهديت الثناء بنظم شعر وكنت لذاك مني مستحقا

لأن هدية الألطاف تفنى وأن هدية الأشعار تبقى

وقال حبيب:

فـو الله لا أنفـك أهـدى شـواردا ... إليـك يحملـن الثنـاء المـنخلا

ألـذ مـن السـلوى وأطيـب نفحـة ... مـن المسـك مفتوقـا وأيسـر محمـلا

وقال مروان بن أبي حفصة:

بدولـة جعفـر حمـد الزمـان ... لنـا بـك كـل يـوم مهرجـان

جعلـت هـديتي لـك فيـه وشـيا ... وخـير الوشـى مـا نسـج اللسـان

وقال أحمد بن أبي طاهر:

مـن سـنة الأمـلاك فيمـا مضـى ... مـن سـالف الـدهر وإقبالـه

هديـة العبـد إلى ربـه ... في جـدة الـدهر وأحوالـه

فقلـت مـا أهـدى إلى سـيدي ... حـالي ومـا خولـت مـن حالـه

إن أهـد نفسـي فهـي مـن نفسـه ... أو أهـد مـالي فهـو مـن مالـه

فلـيس إلا الحمـد والشـكر وال ... مـدح الـذي يبقـى لأمثالـه

وقال الحمدوني وأهدى غليه سعيد بن حميد أضحية مهزولة.

لسـعيد شـويهة ... نالهـا الضـر والعجـف

فتغنـت وأبصـرت ... رجـلا حـاملا علـف

بأبي مـن بكفـه ... بـرء دائـي مـن الـدنف

فأتاهـا مطمعـا ... وأتتـه لتعتلـف

ثم ولى فأقبلت ... تتغنى من الأسف:

ليتـــه لم يكـــن قـــد وقـــف عـــذب القلـــب وانصـــرف

قال الحمدوني: كتبت على الحسن بن إبراهيم, وكان كل سنة يبعث إلى بأضحية فتأخر عنى سنة, فكتبت إليه:

ســـيدي أعـــرض عـــنى وتناســـى الـــود مـــنى

مـــر بي أضـــحى وأضـــحى أخلفـــاني فيـــه طـــني

لا يـــرانى فيهمـــا أه لا لظلـــف ولقـــرن

فتغـــذيت بيـــأس ثم ضـــحيت بجـــني

واصـــطبحت الـــراح يومـــا ثم أنشـــدت أغـــنى:

لا بجـــرم صـــد عـــنى صـــد عـــنى بالتجـــني

***

أهدت جارية من جواري المأمون تفاحة له, وكتبت إليه: إني يا أمير المؤمنين لما رأيت تنافس الرعية في الهدايا إليك, وتواتر ألطافهم عليك, فكرت في هدية تخف مؤونتها, وتهون كلفتها ويعظم خطرها, ويجل موقعها, فلم أجد ما يجتمع فيه هذا النعت, ويكمل فيه هذا الوصف إلا التفاح فأهديت إليك منها واحدة في العدد, كثيرة في التصرف, وأحببت يا أمير المؤمنين أن أعرب لك عن فضلها, وأكشف لك عن محاسنها وأشرح لك لطيف معانيها, ومقالة الأطباء فيها, وتفنن الشعراء في وصفها حتى ترمقها بعين الجلالة, وتلحظها بمقلة الصيانة, فقد قال أبوك الرشيد رضى الله عنه:

أحسن الفاكهة التفاح, اجتمع فيه الصفرة الدرية, والحمرة الخمرية, والشقرة الذهبية, وبياض الفضة ولون التبر, يلذ بها من الحواس: العين بهجتها, والأنف بريحها, والفم بطعمها. وقال أرسطاطاليس الفيلسوف عند حضوره الوفاة, واجتمع إليه تلاميذه: التمسوا لي تفاحة أعتصم بريحها, وأقضى وطرى من النظر غليها. وقال إبراهيم بن هانئ: ما علل المريض المبتلى, ولا سكنت حرارة الثكلى, ولا ردت شهوة الحبلى, ولا جمعت فكرة الحيران, ولا سلت حسيفة الغضبان, ولا تحيت الفتيان في بيوت القيان, بمثل التفاح. والتفاحة يا أمير المؤمنين, إن حملتها لم تؤذك, وان رميت بها لم تؤلمك وقد اجتمع فيها ألوان قوس قزح, من الخضرة والحمرة والصفرة, وقال فيها الشاعر:

حمـــرة التفـــاح مـــع خضـــرته أقـــرب الأشـــياء مـــن قـــوس قـــزح

فعلـــى التفـــاح فاشـــرب قهـــوة واســـــقنيها بنشـــــاط وفـــــرح

ثم عـــــن الآن كـــــي تطـــــربني طرفـــك الفتـــان قلـــبي قـــد جـــرح

فإذا وصلت غليك يا أمير المؤمنين, فتناولها بيمينك, واصرف إليها يقينك, وتأمل حسنها بطرفك, ولا تخدشها بظفرك, ولا تبعدها عن عيبك, ولا تبذلها لخدمك, فإذا طال لبثها عندك, ومقامها بين يديك. وخفت أن يرميها الدهر بسهمه ويقصدها بصرفه, فتذهب بهجتها, ويحيل نضرتها, فكلها: هنيئا مريئا غير داء مخامر والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فقال المأمون احملوا غليها من كل ما أهدى لنا في هذا اليوم.

***

وكتب العباس الهمذاني إلى المأمون في يوم نيروز:

أهـــدى لـــك النـــاس المـــرا كـــب والوصـــائف والـــذهب

وهـــديتي حلـــو القصـــا ئـــد والمـــائح والخطـــب

فاســـلم ســـلمت علـــى الزمـــا ن مـــن الحـــوادث والعطـــب

٥- كتاب الوزراء والكتاب لأبي عبد الله مُحَمَّد بن عبدوس الجهشياري (المتوفي ٣٣١ هـ) طبعة السقا والأبياري وشلبي. مصر ١٩٣٨ وكان بمصر قوم يدافعون بالخراج, ويكسرون بعضه, فأحضر عمر أشدهم مدافعة وإلطاطا, فطالبه, فاستمهله مدة فأمهله, ثم طالبه ثانية, فاستمهله, فأمهله مدة, ثم فعل ذلك في الثالثة, فلما حل الأجل دافعه أيضا, فخلف بأيمان مؤكدة أنه لا يستأديه إلا في بيت المال بمدينة السلام, ثم أشخصه على الرشيد, وكتب إليه بخبره, فبذل له الرجل أداء المال, فأبى عليه أن يقبضه منه, وأقام على ألا يؤديه إلا في بيت المال, فخاف الناس جميعا منه مثل ذلك, وسارعوا إلى الأداء, فلم ينكسر له ولا تخلف درهم واحد. وحكى أنه قال لغلامه أبى درة. وقد أهدى له أهل مصر هدايا كثيرة لا تقبل منها إلا ما يدخل في جراب, لا تقبل حيوانا, فقبل من هدايا الناس الثياب والطيب والعين والورق, وجعل يعزل كل هدية على حدتها, ويكتب عليها اسم صاحبها, وجد في استخرج مال مصر, فزجا منه نجمان, وتأخر النجم الثالث, وثلج أصحابه, فجمعهم وقال لهم. إني قد حفظت عليكم ما أهديتموه إلى, وأمر بإحضاره وإحضار الجهبذ فما كان من عين أو ورق أجزأه عمن أهداه إليه وما كان من ثوب أو غيره باعه وأخذ ثمنه, حتى

استغرق الهدايا كلها, ونظر فيما بقى بعد ذلك, فطالب به, فسارع الناس إلى الأداء, فيقال إنه عقد جماعة مصر من غير أن يبقى فيها درهم, ولم يعهد ذلك من قبله.

***

وكان البرامكة قد فارقوا الرشيد على شيء يطلقونه له من المال للحوادث, سوى نفقاته وما يحتاج إليه هو وعياله, فعزم على الفصد, فقال لجعفر: يا أخي أنا على الفصد, وأريد التشاغل بالنساء, فكم تبعث إلى لما أهيئه لهن؟ قال: ما شاء أمير المؤمنين, قال عشرة آلاف درهم, قال: وأين المال؟ ولكن خمسة آلاف درهم, قال: فهاتها, فبعث بها إليه, ثم قال لجلسائه وقد افتصد: أي شيء تهدون إلى؟ فقال كل واحد منهم: قد أعددت كذا وكذا, واحتال الفضل بن الربيع في التخلص إلى منزله, فرهن حقه من قطيعة الربيع, وهو العشر, على مائة ألف درهم عند عون الجوهرى الحرى, فقال إنى أريد أن أهديها على الخليفة, فصيرها جددا ضربا, في عشرين بدرة ديباج, مختمة بفضة, وكان عون يحفظ للربيع يدا, فقال للفضل: أطابت نفسك عن جميع نعمتك في هدية اليوم؟ فأعلمه أن له عند الرشيد مواعيد, فقال له عون: فإن عندي خادمين مملوكين روميين, أحدهما ناقد, والآخر وزان, جميلي الصورة مراهقين وقد وهبتهما لك, وأحضره تابوت آبنوس محلى بالفضة, فصير البدور فيه مع الطيارات والموازين والصنجات, وأقفله بقفل فضة, وغشاه بديباج, وكسى الغلامين الديباج, وألبسهما المناطق والمناديل المصرية, ووجه بهما وبالتابوت مع من يحمله إلى دار الندماء, فلما ثنى الرشيد الدم قال: اعرضوا على هداياكم, فقدمت

هدية يحيى وجعفر والفضل بن يحيى, من فاكهة ومشام, وما أشبه ذلك, وعرض عيسى بن جعفر وغيره هداياهم, فقال للفضل بن الربيع. أين هديتك يا عباسي؟ وبذلك كان يدعوه, قال: أحضرها يا أمير المؤمنين, فقال تجده قد ابتاع هدية بخمسين درهما, فقال للفراشين: احملوها, فحملوا شيئا راع الرشيد لما رآه, وكشفوا عن التابوت فاستحسنه ثم حضر الغلامان, فتح أحدهما القفل فأخرج الموازين والأوزان, وأخرج الآخر البدور, ففتح بدرة بدرة, واستوفي وزنها وختمها, فلم يدر الرشيد ما يستحسن من جلالة الهدية واستطير فرحا, وأمر بحمل المال, وإدخال الغلامين إلى دار النساء, ليفرقا المال على ما يأمرهما به. وقال للفضل: ويلك يا عباسي! من أين لك هذا؟ قال: سيعرفه أمير المؤمنين, قال: لتقولن. قال: بعت حقي من قطيعة الربيع لأسرك, لما رأيتك قد فصدت وأنت مغموم, قال: والله لأسرنك, وقام فدخل.

وانصرف جعفر يجر رجليه إلى أبيه, فحدثه الحديث, فكتب كتب الفضل على بريد الموصل وديار ربيعة وديار مضر وختمها, وبعث بها إليه فردها, وقال: لا حاجة بي إليها. ولم يزل يحمل الرشيد عليهم حتى أوقع بهم.

٦- أدب الكتاب تأليف أبي بكر مُحَمَّد بن يحيى الصولي (المتوفي ٣٣٦ هـ) المطبعة السلفية -مصر ١٣٤١ هـ

وأهدى بعض الكتاب غلاما كاتبا على رئيس له, وكتب إليه بصفة الخط وغيره- وسمعت من يحكى أن فاعل ذلك عيسى بن فرخانشاه بإبراهيم بن العباس الصولي وكان عيسى يكتب له ولا أدرى كيف صحته, لأني لم

اعتد بما لم اسمعه من أفواه الرجال:

اقبـــــل هديـــــة شـــــاكر تجزيـــــه بالنـــــزر الجلـــــيلا
بـــــدرا يضـــــئ إذا نظـــــر ت إليـــــه لم يألـــــف أفـــــولا
إني بعثـــــت بـــــه وكـــــن ت بحســـــن موقعـــــه كفـــــيلا
لمـــــا رأيـــــت بخطـــــه حســـــنا يصـــــيد بـــــه العقـــــولا
كمنمـــــنم الموشـــــى قـــــد ســـــحب القيـــــان بـــــه الـــــذيولا
أو كـــــالرياض بكـــــى الحيـــــا فيهـــــا فأوســـــعها همـــــولا
وتـــــراه للمعـــــنى اللطيـــــف إذا أشـــــرت بـــــه قبـــــولا
لا مســـــتعيدا منـــــك إذ تملـــــى عليـــــه ولا ملـــــولا
عـــــرف المبـــــادئ والوصـــــو ل مـــــن الحاكيـــــة والفصـــــولا
وصـــــنوف ترتيـــــب الـــــدعا وأن يقصـــــر أو يطـــــيلا
والهمـــــز والمـــــدود وال مقصـــــور والمثـــــل المقـــــولا
والفعـــــل والأسمـــــاء وال مصـــــروف منـــــا والثقـــــيلا
فاســـــتكفه واضـــــمر لـــــه أن لا تريـــــد بـــــه البـــــديلا
يحمـــــل بفضـــــل لســـــانه وبيانـــــه عنـــــك الثقـــــيلا

***

واستهدى أحمد بن إسمعيل دفترا فيه حدود الفراء, فأهداه على مستهديه وكتب على ظهره:

خـــذه فقـــد ســـوغت فيـــه مشـــبها بالـــروض أو بالـــبرد في تفويفـــه

نظمت كما نظم السحاب سطوره وتأنق الفراء في تأليفه

وشكلته ونقطته فأمنت من تصحيفه ونجوت من تحريفه

بستان خط غير أن ثماره ... لا تجتنى إلا بشكل حروفه

***

أهدى رجل إلى إبراهيم بن المدبر قلما وكتب إليه: قد وجهت إليك أعزك الله بمفاتح العلوم باد جمالها. تام كمالها. فهي كما قال الشاعر:

ليس فيها ما يقال له كملت لو أن ذا كملا

كل جزء من محاسنها كائن من حسنه مثلا

قال أبو بكر: أما المشهور مما قيل فيها فشعر بعض الكتاب وقد أهدى دواة محلاة بذهب وهي من الأبنوس:

قد بعثنا لك أم المنايا والعطايا زنجية الأحساب

تتزيا بصفرة وكذا الزن نج تزيا عجبا بصفر الثياب

ريقها ريق نحلة مع صاب حين يجرى لعابها في الكتاب

في حشاها لغير حرب حراب هن أمضى من مرهفات الحراب

***

وفي كتاب الأوراق للصولي (أخبار الراضي بالله والمتقى لله) طبعة القاهرة ١٩٣٥: ووافي رسول ملك الروم بهدايا كثيرة منها صياغات وثياب ديباج ومقارم وآنية ذهب, طريفة الصياغة, فجلس الراضي يوماً فعرضها علينا ووهب لنا أكثرها, وما كان شيء ألذ عنده من شيء يهبه وطعام يؤكل

بين يديه.

٧- ديوان المعاني للإمام أبي هلال العسكري (المتوفي ٣٩٥ هـ) مكتبة القدسي بمصر ١٣٥٢ وأخبرني بعض أصحابنا قال كتب أحمد بن أبي طاهر على إسماعيل بن بلبل: أنا, وإن كنت في عدد الحشم والأتباع الذين يخرجون من تفضيل الخاصة ويرتفعون عن الدخول في جملة العامة فإني في وسط القلادة منهم وبمكان من نظام نعمتك التي تجمعهم وهذا يوم من أيام الملوك السادة الذين لم تزل تجرى لهم السنة على عبيدهم وأصحابهم وقوادهم وكتابهم بالإهداء إليهم وقبول ما أهدوه منهم ليعرف مكان الشريف في مرتبته من مكان المنحط عن منزلته وموضع النعم من المنعم عليه في التقدم بقبول ما يهديه إليه وكل يهدى على قدر بضاعته ورتبته ومقداره في نفسه وهمته وعلى حسب موضعه من سيده ومالكه وما يحويه ملكه وتبلغه ومقدرته. وكرهت أن أمسك عن البر فأخرج عن جملة العبيد والحشم وأهدى ما يقصر عن الواجب اللازم والحق المفترض فجعلت هبتي مع الثقة بعذرك والاعتماد على تفضيلك وصفحك أبياتا اقتصرت فيها على الدعاء لك والثناء عليك أسأل الله تعالى أن يقرنه بالإجابة فيك كما قرن مدحي لك بالتصديق فقلت:

أبا الصقر لا زالت من الله نعمة ... تجددها الأيام عندك والدهر

ولا زالت الأعياد تمضى وتنقضي ... وتبقى لنا أيامك الغرر الزهر

فإنك للدنيا جمال وزينة ... وإنك للأحرار ذخر هو الذخر

رأيت الهدايا كلها دون قدره ... وليس لشيء عند مقداره قدر

فلا فضل غلا وهو من فضل جوده ... ولا بر غلا دونه ذلك البر

فأهديت من حلى الديح جواهرا ... منصلة يزهي بها النظم والنثر

مدائح تبقى بعد ما نفد الدهر ... وتبهي بها الأيام ما اتصل العمر

شكرت لإسماعيل حسن بلاه ... وأفضل ما تجزى به النعم الشكر

* * *

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر عن ابن هفان قال: دخلت على سعيد بن حميد في يوم نيروز وهو مستعد يكتب على إخوانه فقرأت عليه كتابك وشعرك إلى أبي الصقر –يعنى الكتاب والشعر الذي تقدم– فكتب وأنا حاضر على الحسن بم مخلد: أيها السيد النجيب عشت أطوال الأعمار في زيادة من النعم موصولة بقرائنها من الشكر لا تقضى حق نعمة تتجدد لك أخرى ولا يمر بك يوم إلا كان موفيا على ما قبله مقصرا عما بعده. قد تصفحت أحوال الأتباع الذين تجب عليهم الهدايا على السادة في هذا اليوم والتمست التأسي بهم في الإهداء إليك وإن قصرت الحال عن الواجب لك فرأيتني إن أهديت نفسي فهي لك لا حظ فيها لغيرك ورميت بطرفي على كرائم مالي فوجدتها منك فكنت إن أهديت شيئا كمهدي مالك إليك ولم يزد على أن نبه على نعمتك واقتضى نفسه بشكرك وفرغت إلى مودتي وشكري فوجدتها لك خالصتين قديمتين غير مستجدتين وإني إن جعلتهما هديتي لم أجدد لهذا اليوم برا ولا لطفا ولم أقس منزلة شكري بمنزلة من نعمتك إلا كان الشكر مقصرا عن الحق زائدة على ما

لم تبلغه الطاقة ولم أملك سبيلا ألتمس بها ما اعتد به في مجازاتك غلا وجدت فضلك قد سبقني غليها فقدم لك الحق وأحرز لك السبق فجعلت الاعتراف بالتقصير عن حقك هدية غليك تفي ما يجب لك والعذر في العجز عن برك برا أتوصل به إليك:

إن أهـــد نفســـي فهـــو مالكهـــا ولـــه أصـــون كـــرائم الـــذخر
أو أهـــد مـــالا فهـــو واهبـــه وأنا الحقيـــق عليـــه بالشـــكر
أو أهـــد شـــكري فهـــو مـــرتهن بجميـــل فعلـــك آخـــر الـــدهر
والشـــمس تســـتغني إذا طلعـــت أن تستضـــاء بســـنة البـــدر

ثم قرأه على فقلت: أبا عثمان الساعة قرأت عليك لابن أبي طاهر هذه المعاني بأعيانها قال: والساعة عملتها وليس بيننا حشمة. ولا اعرف لها تين الرسالتين في هذا الباب نظيرا في رقة معانيهما وحسن تخريجهما. ورسالة سعيد بن حميد أكثرهما معاني.

* * *

وأول من افتتح المكاتبة في التهاني بالنيروز والمهرجان أحمد بن يوسف, أهدى إلى المأمون سفط ذهب فيه قطعة عود هندي في طوله وعرضه. وكتب معها هذا يوم جرت فيه العادة بألطاف العبيد للسادة وقد قلت:

على العبد حق فهو لا شك فاعله وإن عظم المولى وجلت فضائله
ألم تـــرنا نهـــدى إلى الله مالـــه وإن كـان عنـه ذا غـنى فهـو قابلـه
ولـو كـان يهـدى للقليـل بقـدره لقصـر عـل البحـر عنـك وناهلـه

ولكننـــا نهـــدى إلى مـــن نجلـــه وإن لم يكـن في وسـعنا مـا يشـاكله

فأخذ سعيد بن حميد هذه المعاني وكتب إلى لبن صالح بن يزداد: النفس لك والمال منك والرجاء موقوف عليك والأمر مصروف إليك فما عسانا أن نهدى لك في هذا اليوم وهو يوم قد شملت فيه العادة للأتباع الأولياء بإهدائهم على السادة العظماء وكرهنا أن نخليه من سننه فنكون من المقصرين أو ندعى أن في وسعنا ما يفي بحقك علينا فنكون من الكاذبين فاقتصرنا على هدية تقضى بعض الحق ونقوم عندك مقام أجمل البر وهي الثناء الجميل والدعاء الحسن فقلت: لا زلت أيها السيد الكريم دائم السرور والعطية في أتم العافية وأعلى منازل الكرامة تمر بك الأيام المفرحة والأعياد الصالحة فتخلقها وأنت جديد.

فأول كلامه مأخوذ من قول المعلى بن أيوب للمعتصم: النفس لأمير المؤمنين والمال منه وليس فيما أوجبه الحق نقيصة ولا على أحد فيه غضاضة, وباقيه من كلام أحمد بن يوسف, والدعاء الذي في آخره لعلى بن عبيدة الريحاني لم يزد سعيد بن حميد فيه شيئا.

* * *

كتب أبو الشيص على رجل كان وعده مخدة فأبطأت عليه:

يا صـــــديقي وأخـــــي في كـــل مـــا يعـــرو وشـــده

ليـــت شـــعري هـــل زرعـــتم بـــــذر كتـــــان المخـــــده

* * *

وأخبرني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر قال أهدى بعض العمال على دعبل بن على الخزاعي برذونا زمنا فرده وكتب إليه:

وأهديتـــــه زمنـــــا فانيـــــا فـــــلا للركـــــوب ولا للـــــثمن

حملـــت علـــى زمـــن شـــاعرا فســـوف يكـــافي بشـــعر زمـــن

أبا الفضـــل ذمـــا وغرمـــا معـــا فمـــا كنـــت ترضـــى بهـــذا الغـــبن

* * *

وعدد رجل دعبلا نعلا يهديها إليه عند قدمه من الحج فأبطأت عليه فقال دعبل الخزاعي:

وعـــدت النعـــل ثم صـــدفت عنهـــا كأنـــك تشـــتهي شـــتما وقـــذفا

فـــإن لم تهـــد لى نعـــلا فكنهـــا إذا أعجمـــت بعـــد النـــون حرفـــا

* * *

وأخبرني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر قال كتب إلى أبو على البصير بستهديني بخورا كنت أهديت منه إلى بعض إخواني, والأبيات:

يا شـــــقيقي ويا خليلـــــي إباء المرجـــى لكـــل خـــير ومـــير

أنـــت مـــن أطيـــب الأنام بخـــورا غـــير أني شممتـــه عنـــد غـــيري

وهـــو جـــم لـــديك فابعـــث بـــدرج منـــه إن لم أكـــن تعـــديت طـــوري

فكتبت إليه:

قد بعثنا إليك منه بدرج وأزرناك منه أطيب زور

بين ند وبين عود مطرا ما له مشبه بنجد وغور

أنت منه أزكى وأطيب عرفا وهو أزكى من كل طيب ونور

ما تعديت فيه طورك عندي فتبخر منه بأيمن طير

* * *

وحدثني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد قال حدثني أبو دعامة الشاعر قال كتب العتابي إلى مالك بن طوق يستزيده ويستهديه ويدعوه على صلة الرحم والقرابة بينه وبينه وكان مما كتب: إن قرابتك من قرب منك خيره وإن ابن عمك من عم نفعه وإن عشيرتك من أحسن معاشرتك وإن أحب الناس إليك أجداهم بالمنفعة عليك وإن أهداهم إلى مودتك من أهدى إليك, ولذلك أقول:

ولقد بلوت الناس ثم سبرتهم ووصلت ما قطعوا من الأسباب

فإذا القرابة لا تقرب قاطعا وإذا المودة أقرب الأنساب

٨- اللطائف والظرائف في الأضداد -للثعالبي (المتوفي ٤٢٩ هـ) جمع بينه وبين اليواقيت الإمام أحمد المقدسي طبع بمصر ١٣٣٤ هـ

باب مدح الهدية

في الخبر المرفوع: (تهادوا تحابوا) , وفيه (تصافحوا فإن التصافح يذهب غل الصدور, وتهادوا فإن الهدية تسل السخيمة) . قال الشاعر:

إن الهديـــــــــة حلـــــــــوة كالســـــحر تجتلـــب القلـــوبا

تـــدنى البعيـــد مـــن الهـــوى حـــــتى تصـــــيره قريبـــــا

وتعيـــــد معتضـــــد العـــــدا وة بعـــــد نفرتـــــه حبيبـــــا

وقال ابن عائشة: الهدية سنة الله –ﷺ– وأدب الملوك وعمارة المودة بين الإخوان. وكان يقال: أهدوا للولاة فإنهم إن لم يقبلوا أحبوا. وكان الفضل بن سهل ذو الرياستين يقول: ما أرضى الغضبان, واستعطف السلطان, ولا سلت السخائم, ولا رفعت المغارم, ولا استميل المحبوب, ولا توقى المحذور بمثل الهدية. ومن أحسن ما قيل في الإهداء إلى الملوك قول أحمد ابن يوسف المأموني:

علـى العبـد حـق لا بـد فاعلـه وإن عظـم المـولى وجلـت فضـائله

ألم تـــرنا نهـــدى إلى الله مالـــه وإن كـان عنـه ذا غـنى فهـو قابلـه

وكتب بعض الكتاب إلى صديق له: وجدت المودة منقطعة ما دامت الحشمة عليها مسلطة, وليس يزيل سلطان الحشمة إلا المؤانسة, ولا تقع المؤانسة إلا بالمهاداة والملاطفة.

* * *

وكتب أبو العيناء إلى بعض الوزراء: قد بعثت إلى الوزير بباكورة عنب, فإن كنت سبقت المهدين لها فلي فضل السبق, وإن كنت مسبوقا فلي فضل النية. ويقال: من قدم هديته نال أمنيته, ومن قدم المئونة ظفر بالمعونة. وقال بعض السلف: نعم الشيء الهدية أمام الحاجة. وقال آخر: الهدية تفتح الباب المغلق. وقال آخر: الهدايا تذهب الشحناء. والهدية رزق الله فمن

أهدى إليه فليقبله. وقال بعض العلماء: لعظم خطر الهدية وجلالة قدرها على وجه الدهر قالت ملكة سبأ: (وإني مرسلة غليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون) وقال الشاعر:

للهـــدايا في القلـــوب مكـــان وحقيـــق بحبهـــا الإنســـان

وقال الشاعر:

إذا دخـــل الهديـــة دار قـــوم تطـــايرت العـــداوة مـــن كواهـــا

باب ذم الهدية

أهدى إلى عمر بن عبد العزيز هدية فردها فقيل له: إن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان يقبلها فقال: كانت له الهدية هدية وهي لنا رشوة, وقد لعن الله الراشي والمرتشي والرائش. وقال بعض السلف: الهدية للعامل غلول, وفي عمل السلطان رشوة. وأهدى على دهقان هدية فكرهها وأظهر الجزع فعاتبه بعض من صاحبه, فقال: لئن كان ابتداني بها إنه ليدعوني إلى أن أتقلد منه منة, ولئن كافأني على معروف لي عنده إنه ليسألني أخذ ثمن ذلك, فمن أي هذين لا أجزع! ٩– ثمار القلوب في المضاف والمنسوب –للثعالبي

القاهرة ١٣٢٦١٩٠٩ م

طيلسان ابن حرب –كان مُحَمَّد بن حرب أهدى إلى الحمدوني طيلسانا خلقا, وكان الحمدوني يحفظ قول أبي حمران السلمي في طيلسانه وهو: يا طيلسان أبي حمران قد برمت ... بك الحياة فلا تلتذ بالعمر فاحتذى حذوه وانسالت عليه المعاني حتى قال في وصف الطيلسان قرابة

مائتي مقطوعة ولا تخلو واحدة منها من معنى بديع. وصار الطيلسان عرضة لشعرة ومثلا في البلاء والخلوقة والانخراط في سلك حمار طياب وشاة سعيد وضراطة وهب –المتقدم ذكر كل منها– فمن نوادر ما قال فيه:

يا ابـن حـرب كسـوتني طيلسـانا مـل مـن صـحبة الزمـان وصـدا

طـال تـرداده إلى الرفـو حـتى لـو بعثنـاه وحـده لتهـدى

١٠– التمثيل والمحاضرة للعلامة أبي منصور الثعالبي النيسابوري آخر:

للهـدايا مـن القلـوب مكـان وحقيـق بحبهـا الإنسـان

آخر:

إن الهديـة حلـوة كالسـحر تجتلـب القلـوبا

تـدنى البعيـد مـن الهـوى حـتى تصـيره قريبـا

آخر:

رويـت في السـنة المشـهورة البركـه أن الهديـة في الإخـوان مشـتركه

١١– محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء لأبي القاسم حسين بن مُحَمَّد المعروف بالراغب الأصبهاني (المتوفي ٥٠٢ هـ) القاهرة ١٢٨٧ هـ

ومما جاء في الهدايا

(الحث على الإهداء وذكر فضيلته) قال النبي ﷺ: (تهادوا تحابوا) وقال: (الهدية تسل السخيمة) وقال عمر ﷺ: نعم الشيء الهدية بين يدي الحاجة. وفي الخبر (إذا قدم أحدكم من سفر فليهد على أهله وليطرفهم وإن حجارة) وقيل: "اسكفة الباب تضحك من الهدية". وقيل: "الهدية هداية".

وقال:

ما من صديق وإن تمت صداقته يوما بأنجح في الحاجات من طبق

لا تكذبن فإن الناس مذ خلقوا عن رغبة يعظمون الناس أو فرق

أما الفعال ففوق النجم مطلبه والقول يوجد مطروحا على الطرق

آخر:

إذا أتت الهدية دار قوم تطايرت الأمانة من كواها

وقيل: "الهدية بضاعة تيسر الحاجة ومن صانع بالمال لم يحتشم". قال الغاضري لأصحابه: أي راكب أحسن؟ فقال بعضهم: تمرة على زبدة, فقال:

لا بل هدية على حمال. ومن أمثال الفرس: "الهدية تغالط العقول".

(الحث على قبول الهدية) قال النبي ﷺ: (إن الهدية رزق الله فمن أهدى إليه شيء من غير سؤال ولا إسراف فليقبه فإنما هو رزق ساقه الله إليه) وقال: (من سألكم بالله فأعطوه ومن استعاذكم فأعيذوه ومن أهدى إليه كراع فليقبله) .

وقال: (لو أهدى على كراع لقبلت ولو دعت على كراع لأجبت) . (الحث على المقابلة) قال الله تعالى: (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) .

فسره بعضهم بالهدية وجعل الثواب بها واجبا. وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية ويثيب علبها ما هو خير منها. أنشدني بعضهم:

رأيت الناس طرا في الهدايا كبيع السوق خذ مني وهات

(طلب الهدية ومعاتبة من تركها) روى أن رجلا أهدى إلى الحسن والحسين رضي الله عنهما ولم يهد إلى ابن الحنيفة فأنشأ أمير المؤمنين على ﷺ يقول:

وما شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصحبينا

* * *

وكتب رئيس على بعضهم: لا تهدين ما يجحف بحالك فإنه لا يزيد في مالي ولا يمنعك من ملاطفتي بيسير, واللطف استعظامك لمكاني فالكثير منك يسير واليسير عندنا كثير والسلام. المعيطي:

أتاني أخ من غيبة كان غائبا وكنت إذا ما غاب أنشده الركبا

فجاء بمعروف كثير فدسه كما دس راعي السوء في حضنه

فقلت له: هل جئتني بهدية فقال: بنفسي, قلت: أطعمتها الكلبا

هي النفس لا أرثى لها من ملمة ولا أتقى إن نأيت لها قربا

* * *

(الهدية مشتركة) قال النبي ﷺ: (إذا أتى أحدكم بهدية فجلساؤه شركاؤه فيها) , وكان الهيثم بن عدى يحدث بهذا الحديث فما تم حتى طلعت هدية فقال ما خلا هذه.

(نهي الولاة عن قبول الهدية) صعد النبي ﷺ المنبر فقال (ما بال أقوام استعملتهم على الصدقات فيجئ أحدهم فيقول هذا مالكم وهذا أهدى على هلا جلس في حفش أمه فينظر أيهدى إليه والذي نفسي بيده لا يأخذ

أحد منكم شيئا بغير حقه إلا لقي الله بحمله فليأتين أحدكم وعلى رقبته بعير له رغاء وبقرة لها خوار وشاة لها ثغاء ثم رفع يده وقال اللهم قد بلغت) . وروى: إياكم والهدية فإنها ذريعة الرشوة. ولعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي. قال الشيخ: وقد ذكرت خبر أنو شروان مع غيره في مثل هذا الباب في الولايات.

* * *

(الممتنع من أخذ الهدية) سأل رجل الخيرزان حاجة فاستبطأها فأهدى إليه هدية فكتب إليه إن كان ما وجته ثمنا لرأيي فيك فقد بخستني في القيمة وإن كان استزادة فقد استغششتني في النصيحة.

وقال المدائني: أهدى رجل إلى مجوسي هدية فاغتم لذلك فقيل له فقال لئن ابتدأني: أهدى رجل إلى مجوسي هدية فاغتم لذلك فقيل له فقال لئن ابتدأني بها فإنه يدعوني إلى أن أتقلد منه منة ولئن كافأني على معروف عنده إنه ليروم أخذ ذلك فمن أي هذين لا أجزع.

وطلب عبد الله بن جعفر لأزادمرد حاجة من أمير المؤمنين ﷺ فأهدى إليه أزادمرد أربعين ألف درهم فامتنع عبد الله من أخذها وقال إنا أهل بيت لا نأخذ على معروفنا ثمنا.

وأهدى عبد الله بن السري على عبد الله بن طاهر لما ولاه مصر مائة وصيفة مع كل واحدة بدرة وبعثها إليه ليلا فردها وكتب إليه لو قبلت هديتك قبلتها نهارا (فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون) . (من لان بعد لأخذ هدية) مر زياد بأبي العريان بالبصرة فقال من هذا فقالوا

زياد بن أبي سفيان فقال ما أعرف في ولد أبي سفيان زيادا فبلغه ذلك فوجه غليه دنانير ثم مر به فقال من هذا فقالوا زياد بن أبي سفيان فقال لقد ذكرني شمائل أبي سفيان فبلغ ذلك معاوية ﷺ فكتب إليه:

ما لبثتك دنانير رشيت بها ... أن لونتك أبا العريان ألوانا

لله در زياد منذ قدمها ... كانت له دون ما يخشاه قربانا

فكتب له:

ابعث لنا صلة تحيا النفوس بها ... قد كدت يا ابن أبي سفيان تنسانا

من يسد خيرا يجده حيث يجعله ... أو يسد شرا يجده حيثما كانا

أما زياد فلا أنسيت نسبته ... ولم أرد بالذي حاولت بهتانا

* * *

ولما ولى الحسن بن عمارة المظالم قيل ذلك للأعمش فقال ظالم ولى المظالم فأهدى إلى الأعمش رزمة ثياب فجعل يقول من بعد: إن الحسن كريم وحر سخي. وكان رؤية له حكومة فلم يكن يبلغ مراده فيها فأهدى لي الحاكم شيئا فنال ما رام فقال:

لما رأيت الشفعاء بلدوا ... أسوتهم برشوة فقردوا

وسهل الله بها ما شددوا

وكان بعض الولاة يخاشن بعض عماله فأضاه بما أهداه فسألته كيف حالك مع فلان فقال قد سد ابن بيض الطريق. وخبره معروف. (استرداد ظروف الهدايا وتركها) : قال الغنوي: استيموا الهدايا برد الظروف,

وقال إسحاق بن إبراهيم: كنت مع الرشيد بالكوفة في شهر رمضان فقال لموسى ابن عيسى يا أبا عيسى حلواؤنا عليك وكان يوجه إليه كل ليلة عشر صحاف فلما كان بعد عشر ليال قطعها قال له الرشيد أصفوت فقطعت الحلواء فقال ما قطعها غيرك إن أنصفت قال كيف؟ قال إن من يأخذها منا لا يرد صحفة ولا منديلا ولا طبقا قال بئس ما عمل إن الهدايا تستدام برد الظروف فإذا صرت المتقاضى وأنت القاضي فلا تحتشم أحدا في استرداد الظروف. للصاحب وقد أهدى دنانير على طبق فضة فكتب بأبيات فيها:

والظرف يوجب أخذه مع ظرفه.

(الاعتذار من إهداء شيء طفيف) كتب بعضهم: سهل لي سبيل الملاطفة فأهديت هدية من لا يحتشم على من لا يستغنم. كتب أحمد بن يوسف: للهدية معنيان كلاهما يوجب القبول وإن قل. وقيل إن كان لك عند المهدي يد فلا تستقصر بمزيدك وإن كان مبتدئا فالتفضل لا يستقل. الهدية أظرفها أخفها وأقلها أنبلها. وكتب آخر: قدمت المعذرة في إهداء ما اتسعت به المقدرة.

وروى أن سليمان عليه الصلاة والسلام مر بعش قنبرة فأمر الريح أن تتجنب عشها الذي فيه فراخها فجاءت القنبرة لما نزل سليمان فرفرفت على رأسه وألقت جرادة هدية له لما فعل فقال سليمان: هي مقبولة فكل يهدى على قدر وسعه. ومما يروى لأبي يوسف القاضي:

علينا بأن نهدى إلى من نحبه ... وإن لم يكن في وسعنا ما يشاكله

ألم ترنا نهدى إلى الله ماله ... وإن كان عنه ذا غنى فهو قابله

دعبل: هذى هدية عبد أنت ملبسه ثوب الغنى فاقبل الميسور من خدمك

الخبزأرزي: تفضل بالقبول على إني بعث بما يقل لعبد عبدك

أهدى بعض الأدباء إلى المعتز شيئا وكتب إليه لا يعيب العبد أن يهدى إلى سيده القليل من نعمته عنده ولا السيد أن يقبل ذلك وإن كان الكل له, والسلام.

* * *

(المقتصر في الهدية على الشكر) قال المازني: أظرف من اعتذر للفقر واقتصر على الشكر في الإهداء أحمد بن إبراهيم كتب إليه ابن ثوابة:

إني جعلت هديتي في المهرجان إليك شكري

لما تعذر واجب فسح التعذر فيه عذري

فإذا مررت بذكر من جاءت هديته ببر

فادر على اسمي دارة واكتب عليه: أتى بعذر

مُحَمَّد بن أبي حكيم:

رأيت كثير ما يهدى قليلا لعبدك فاقتصرت على الدعاء

وقال آخر:

وافق المهرجان والعيد مني رقة الحال وهي داء الكرام

فاقتصرنا على الدعاء وفيه عون صدق على قضاء الذمام

* * *

(المقتصر على إهداء النفس) افتصد المتوكل فلم يبق أحد من جواريه وحشمه إلا أهدى إليه فأخبرت قبيحة بذلك وكانت معشوقته فتزينت ودخلت عليه فأنشدته:

طلبت هدية لك باحتيال على ما كان من حسي وبسي

فلما أجد شيئا نفيسا يكون هدية أهديت نفسي

فقال المتوكل: نفسك والله أحب إلى.

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

حبيبي فصدت العرق من أجل علة فلم تهد لي فيه وصالا مجددا

فأهديت نفسي يوم فصدى بوصلها إليك فخذها كي تكون لك الفدار

(استهداء النفس) كتب أبو العباس بن رشيد إلى صديق كان مشغوفاً به:

الناس يهدون إلى المفتصد أحسن ما يلقونه في البلد

فاهد لي وجهك يا سيدي فإنه أحسن شيء يرد

* * *

(المهدي شيئا معنيا) أهدى أبو عبادة الوزير على المأمون مصحفا في يوم مهرجان ووافق أول يوم من شهر رمضان فكتب إليه: عدلت عن هدايا السلطان إلى التيمن بالقرآن وما يرضى الرحمن, فوقع في رقعته: (فبأي آلاء ربكما تكذبان) .

وأهدى أحمد بن يوسف على المأمون هدايا وكتب غليه رقعة فلم

يستظرف من هديته شيئا إلا قوله في رقعته: هذا يوم جرت فيه العادة بألطاف العبيد للسادة. وبعث إبراهيم بن المهدي بجراب ملح وجراب أشنان وكتب معهما: قصرت البضاعة عن بلوغ الهمة فكرهت أن تطوى صحف البر خالية من ذكرى فبعثت بالمبدوء لبركته والمختوم به لنظافته والسلام. وشرب الرشيد دواء فأهدت غليه الخيرزان جارية بكرا معها جام كتب عليه:

إذا خـــرج الإمـــام مـــن الـــدواء وأعقـــب بالســـلامة والشـــفاء

فلـــيس لـــه دواء غـــير شـــرب بهـــذا الجـــام ينـــزغ بالطـــلاء

وفـــض الخـــاتم المهـــدي إليـــه فهـــذا العـــيش مـــن بعـــد الـــدواء

وفض رجل إلى آخر قلنسوة ونعلا فقال لقد أشواني فلان بكسوته: أي أصاب شواي.

* * *

(ذكر الهدية بأنها أمارة لفضل صاحبها ونقصه) قيل: يعرف فضل المرء بفضل هديته وسخافته بسخافة بره. وقيل: ثلاثة تدل على عقول أربابها: الهدية والرسول والكتاب وقد حكى الله تعالى عن بلقيس أنها قالت (وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون) فجعلت جواب الهدية دلالة.

كشـاجم: إن هـدايا الرجـال مخـبرة عـــن قـــدرهم قللـــوا أو احتفلـــوا

***

(المهدي هدية سخيفة) أهدى أبورهم السدوسي على قينة كان يتعشقها زنبيل بصل, فقال فيه ابن. المعدل: قالت جبل ماذا العمل هذا الرجل حين

احتفل أهدى بصل.

أهدى رجل إلى إسماعيل الطالبي فالوذجة عتيقة قد زنخت وكتب معها إني اخترت لعملها سكر السوس والعسل الماذي, والزعفران الأصفهاني, فكتب إليه: برئت من الله إن كانت هذه الفالوذجة قد عملت إلا قبل أن يوحى ربك على النحل. وأهدى أبو على البصير على أبى العيناء كرينجان قد كتب على كل واحدة منها (ادخلوها بسلام آمنين) فردها أبو العيناء وقد كتب عليها (فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن) وكان رجل قد شغف بصبي فأهدى غليه كلبا فقال أبو شبل:

وما رأت عيني ولا قيل لي ... أن فتى مستهترا صبا

لما دنا من وصل أحبابه ... أهدى إلى أحبابه كلبا

الصولي: أهدى إلى هدية مذمومة ... وأذم منها عندنا مهديها

وكأنما هي في سماحة منظر ... تحكيه في قبح كما يحكيها

***

(الممتن بهدية أهداها) أهدى رجل على الأعمش بطيخة فلما أصبح قال يا أبا مُحَمَّد كيف كانت البطيخة؟ قال طيبة ثم أعاد عليه ثانيا وثالثا, فقال: إن خففت من قولك وإلا قئتها. وأهدى أبو الهذيل إلى أستاذ له ديكا فكان بعد ذلك إذا خاطبه أرخ بديكه فيقول: إنه كان يوم أهديت إليك الديك وإنه قبل الديك بكذا وبعد الديك بكذا.

وقدم زياد على معاوية وأهدى إليه هدايا كثيرة فأعجب بها معاوية فلما رأى زياد سروره بذلك قال يا أمير المؤمنين إني دوخت لك العراق وحبيت

لك برها وبحرها وغثها وسمينها وحملت لك لبها وسروها فقال له يزيد: أما إذا فعلت ذلك فقد نقلناك من ولاء ثقيف إلى شرف قريش ومن عبيد إلى أبي سفيان وما أمكنك تدويخ العراق إلا بنا, فقال معاوية: حسبك فداك أبوك ووريت زناده فيك.

(الشاكر المهدي إليه) :

أتتنا هدايا منه أشبهن فضله ومن علينا منعما متفضلا

ولو أنه أهدى على وصاله لكان إلى قلبي ألذ وأوصلا

١٢- درة الغواص في أوهام الخواص لأبي مُحَمَّد القاسم بن على الحريري (المتوفي ٥١٢ هـ) طبعة القسطنطينية ١٢٩٩ هـ ويقولون لهذا النوع من المشموم: سوسن, (بضم السين) فيوهمون فيه, كما أن بعض المحدثين ضمها فتطير من اسمه وكتب إلى من أهدى له:

لم يكفك الهجر فأهديت لي تفاؤلا بالسوء لي سوسنه

أولها سوء وباقي اسمها يخبر أن السوء يبقى سنه

والصواب أن يقال فيه سوسن (بفتح السين) , وكذلك يقال روشن (بفتح الراء) ليلحقا بما جاء على وزن فوعل نحو جوهر نحو جوهر وجورب وكوثر وتولب إذ ما سمع في أمثلة العرب فوعل (بالضم) إلا جؤذر في قول بعضهم.

١٣- بدائع البدائه لعلى بن ظافر الأزدي (المتوفي ٦٢٣ هـ) طبعة مصر ١٢٧٨ هـ وذكر عبد الرحمن بن نصر الدمشقي في كتابه المسمى بالتحفة والطرفة أن الوزير المزدقاني خرج للتنزه فرأى امرأة في بعض القصور

فأعجبته فوقف متأملا لها, فأشارت إليه, فآنس منها قبولا, فأرسل إليها رسولا يعلمها بشدة شوقه ووجده بها.

فردت رسوله ومعه تفاحة عنبر فيها زر من ذهب ولم تكلمه بشيء فلم يفطن هو ومن حضره لتأويل ذلك, فقال له ابنه أحمد: قد فهمت ما أرادت, ونظمه في الحال في بيتين وأنشد:

أهـــدت لـــك العنـــبر في جوفـــه زر مـــن التـــبر خفـــي اللحـــام

فـــالزر في العنـــبر معناهمـــا زر هكـــذا مختفيـــا في الظـــلام

١٤- التذكرة -لابن العديم (المتوفي ٦٦٠ هـ) مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٢٠٤٢ أدب كتب أحمد بن مهران الكاتب إلى رجل أهدى له أقلاما. ونقلت من خط على بن مقلة أو غيره حضور المعنى: "أكرمك الله بحبيب عليه الهوى, واللسان بينه وبين القلب مترجم عن النجوى, وقليل البر بخلوص المحبة يتجاوز الكثير منه مع ضعف المودة, وموقع اللطف كموقع صاحبه من النفس, فإذا خص بها لطف, وإذا نبت عنها جفا, وهذه أبيات في الأقلام التي وضعها بين يدى:

أهـــدت إلى أنامـــل أقلامـــا كـــادت لرقتهـــا تكـــون مـــداما

تبـــدى حروفـــا بالضـــمير نواطقـــا وتكـــون مـــن دون الكـــلام كلامـــا

شـــبهتها قـــد ألحـــت فضاضـــة ونحافـــة ولطافـــة وســـقاما

خرســـاء تكلـــم في الـــبلاد ولم تـــرم وتـــذيع عنـــك محبـــة وســـلاما

وتبـــث شـــكواك الحبيـــب إذا نأى وتـــرد نفرتـــه إليـــك غرامـــا

وتكـــاد رقـــة مـــا تخاطبـــه بـــه تجرى كما جرت الدموع سجاما

وتحمـــل القرطـــاس مـــا حملتـــه ســـــيرا حيـــــاة تارة وحمامـــــا

تثـنى قفـا الخطـى حـد شـباتها وتفـل سـيفا حـين شـيم حسـاما

١٥- وفيات الأعيان -لا بن خلكان (المتوفي ٦٨١ هـ) طبعة مصر ١٣١٠ هـ أبو منصور عبد الملك بن مُحَمَّد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري- وله في وصف فرس أهداه إليه ممدوحه:

يا واهـــب الطـــرف الجـــواد كأنمـــا قـــد أنعلـــوه بالـــرياح الأربـــع

لا شـــيء أســـرع منـــه إلا خـــاطري في وصـــف نائلـــك اللطيـــف الموقـــع

ولـــو أنـــني أنصـــفت في إكرامـــه لجـــلال مهديـــه الكـــريم الألمعـــي

أقضـــمته حـــب الفـــؤاد لحبـــه وجعلـــت مربطـــه ســـواد المـــدمع

وخلعـــت ثم قطعـــت غـــير مضـــيع بـــرد الشـــباب لجلـــه والبرقـــع

١٦- غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة لأبى إسحق إبراهيم الكتبي المعروف بالوطواط (المتوفي ٨١٨ هـ) طبعة مصر ١٢٨٤ هـ. ومما يورد من المحبة أعذب الموارد هدية يستعطف بها القلب الشارد قال رسول الله ﷺ: (تهادوا تحابوا وتذهب الشحناء) . وقال عليه الصلاة والسلام: (تهادوا فإن الهدية تذهب وغر الصدور) وكان ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها. وقال: (لو أهدى إلى كراع لقبلت ولو دعيت إلى كراع لأجبت) وقالت عائشة رضي الله عنها: "اللطفة عطفة تزرع في القلوب المحبة والإلفة" وفي الأثر: (الهدية تجلب المودة إلى القلب والسمع والبصر) شاعر:

إن الهديـــــــــة حلـــــــــوة كالســـــحر تجلـــب القلـــوبا

تـــدنى البغـــيض مـــن الهـــوى حـــــتى تصـــــيره حبيبـــــا

وتعـــــدي مضـــــطعن العـــــدا وة في تباعـــــــده قريبـــــــا

ومن أمثالهم: إذا قدمت من سفر فأهد لأهلك ولو حجر. وقال الجاحظ: ما استعطف السلطان ولا استرضى الغضبان ولا أزيلت السخائم ولا استدفعت المغارم بمثل الهدايا, وقالوا: في نشر المهاداة طي المعاداة.

***

وقال ضياء الدين ابن الأثير في رسالة يذكر فيها الهدية: الهدية رسول يخاطب عن مرسله بغير لسان ويدخل على القلوب من غير استئذان وبهدية المرء يستدل على عقله كما ذكر: أن رجلا أهدى على قتادة نعلا رقيقة فجعل النعمان يرزنها بيده ويقول: يعرف قدر الرجل في سخف هديته اللهم إلا أن يهدى شيئا سخيفا حقيرا فيصيره بالاعتذار عنه شريفا خطيرا. كما فعل أبو العتاهية فإنه أهدى إلى الفضل بن الربيع نعلا وكتب له معها:

نعـــلا بعثـــت بهـــا لتلبســـها قـــدم تســـير بهـــا علـــى المجـــد

لـــو كـــان يحســـن أن اشـــركها جلـــدي جعلـــت شـــراكها خـــدي

وأهدى الأخيطل الأهوازي إلى ابن حجر في يوم نوروز طبقا فيه وردة وسهم ودينار ودرهم وكتب معه:

قل لابن حجر ذي السماح الخضرم لا زلـــت كـــالورد نضـــير المبســـم

ونافـــذا مثـــل نفـــاذ الأســـهم في عـــز دينـــار ونجـــح درهـــم

وقال بعضهم: من امتنع من إهداء القليل لجلالة قدر المهدي إليه انقطعت سبل المودة بينه وبين إخوانه ولزمه الجفاء من حيث التمس الإخاء.

أبو العتاهية:

هـــــدايا النـــــاس لـــــبعض تولـــــد في قلـــــوبهم الوصـــــالا

وتـــــــزرع في القلـــــــوب وودا وتكســـوهم إذا حضـــروا جمـــالا

آخر:

مـا مـن صـديق وإن تمـت صـداقته يومـا بأنجـح في الحاجـات مـن طبـق

إذا تلـــثم بالمنـــديل منطلقـــا لم يخـــش نبـــوة بـــواب ولا غلـــق

لا تكـذبن فـإن النـاس مـذ خلقـوا لرغبـــة يكرمـــون النـــاس أو فـــرق

وبالجملة إذا كانت من الصغير إلى الكبير فلطفت ودقت كان أبهي وأحسن، وإذا كانت من الكبير إلى الصغير فعظمت وجلت كان أوقع لها وأنجع.

***

أهدى يعقوب الكندي إلى بعض إخوانه سيفا وكتب معه: "الحمد لله الذي خصك بمنافع ما أهدى إليك فجعلك تهتز للمكارم اهتزاز الصارم, وتمضى في الأمور مضاء المأثور, وتصون عرضك بالإرفاد كما تصان السيوف في الأغماد, ويظهر دم الحياء في صفحة خدك المشروف كما يشف الرونق في صفحات السيوف, وتصقل شرفك بالعطيات كما تصقل متون

المشرفيات"

وأهدى الصابي دواة ومرفعا وكتب معهما: " قد خدمت مجلس مولانا بدواة يداوى بها مرض عفاته, ويروى بها قلوب عداته على مرفع يؤذن بدوام رفعته وارتفاع النوائب عن ساحته.

وأهدى أيضا على بعض الأصحاب فرسا وكتب معه: قد قدمت إليك فرسا والله تعالى يبارك لك فيه, ويجعل الخير معقودا بنواصيه والإقبال غرة وجهه, ونيل الأماني طلق شده, وفتح الفتوح غاية شأوه, وإدراك المطالب تحجيل قوائمه, وسلامة العواقب منتهي عنايه. والسلام.

(من أهدى هدية حقيرة واعتذر عنها) كتب بعضهم مع هدية حقيرة:

قبول الهدية أروماة ... وحاشاك أن ترد الكرم

فإن الملوك على قدرها ... لتقبل نشابة أو قلم

ابن التعاويذي:

هدية المرء تنبي عن مروءته ... وعن حقارة مهديها وخسته

وما يحيط من المهدي إليه إذا ... كانت محقرة عن قدر رتبته

فاغفر جريمة من خست هديته ... وتلك منه على مقدار قدرته

وكتب آخر مع هدية أهداها ليلا:

بعثت عشيا إلى سيد ... بما هو من خلقه مقتبس

هدية خل صحيح الإخاء ... جرى منه ذكرك مجرى النفس

فجـــد بالقبـــول وأيقـــن بأن لفـــرط الحيـــاء أتـــت في الغلـــس

آخر:

يأيهـــا المـــولى الـــذي عمـــت أياديـــه الجميلـــة

أقبـــل هديـــة مـــن يـــرى في حقـــك الـــدنيا قليلـــة

آخر:

قـــد بعثنـــا إليـــك الـــل هـــ بشـــيء فكـــن لـــه ذا قبـــول

لا تقســه علــى نــدى كفــك الغــم ر ولا نيلـــك الكثـــير الجليـــل

فـــاغتفر قلـــة الهديـــة مـــنى إن جهـــد المقـــل غـــير قليـــل

ومن ظرائف الهدايا التي هي من أحسن ما يسطر في الصف ويذكر, ما يروى: أن يحيى بن خالد بن برمك عزم على ختان ولده فأهدى إليه وجوه الدولة كل منهم بحسب حاله وقدرته, فصنع بعض المتجملين العاجزين خريطتين وملأ إحداهما ملحا مطيبا وملأ الأخرى سعدا معطرا, وكتب معهما رقعة فيها: "لو تمت الإرادة لأسعفت العادة, ولو ساعدت القدرة على بلوغ النعمة لتقدمت السابقين إلى خدمتك وأتعبت المجتهدين في كرامتك, لكن قعدت بي القدرة عن مساواة أهل النعمة, وقصرت بي الجدة عن مباهاة أهل المكنة, وخشيت أن تطوى صحيفة البروليس لي فيها ذكر فأنفذت المفتتح بيمنه وبركته وهو الملح والمختتم بطيبه ونظافته وهو السعد, باسطا يد المعذرة, صابرا على ألم التقصير متجرعا غصص الاقتصار على اليسير, والقائم بعذري في ذلك (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج) والخادم ضارع في الامتنان عليه بقبول خدمته

ومعذرته والإحسان إليه بالإعراض عن جراءته, والرأي أسمى. " ثم دخل دار يحيى ووضع الخريطتين والرقعة بين يديه فلما قرأ الرقعة أمر أن تفرغا وتملأ إحداهما دنانير والأخرى دراهم.

***

ومن الحكايات المستظرفة: ما يحكى أن بعض القيان افتصدت فأهدى لها محبوها هدايا فكان من جملتهم من أهدى ثلاث سلال مخيطة ففتحت سلة منها فوجدتها مملوءة ماشا وفيها رقعة مكتوب فيها: ماش خير من لاش. وفتحت الأخرى فإذا هي مملوءة عصافير فطاروا, وفيها رقعة مكتوب فيها: "هذه أعتقتها لوجه الله تعالى شكرا له على سلامتك من فصدك" وفتحت الأخرى فإذا هي فارغة لا شيء فيها إلا رقعة مكتوب فيها: "لو كان لنا شيء لأهديناه" فضحك من كان حاضرا, ولم تدع القينة شيئا مما أهدى غليها إلا أعطته منه.

(اعتذار من لم يهد شيئا)

تأنق في الهدية كل قوم ... غليك غداة شربك للدواء

فلما أن هممت بها مدلا ... لموضع حرمتي بك والإخاء

رأيت كثير ما أهدى قليلا ... لديكم فاقتصرت على الدعاء

آخر:

إن أهد نفسي فهو مالكها ... ولها أصون كرائم الذخر

أو أهد مالا فهو واهبه ... وأنا الحقيق عليه بالشكر

أو أهـــد شـــكرا فهـــو مـــرتهن بجميـــل فعلـــك آخـــر الـــدهر

آخر:

وافـــق المهرجـــان حاشـــاك مـــنى رقـــة الحـــال وهـــي داء الكـــرام

فاقتصـــرنا علـــى الـــدعاء وفيـــه عـــون صـــدق علـــى قضـــاء الـــذمام

آخر:

هـــديتي تقصـــر عـــن همـــتي وهمـــتي تفضـــل عـــن مـــالي

فخـــالص الـــود ومحـــض الـــولا أحـــق مـــا يهديـــه أمثـــالي

***

وكان في قلب الأمين من إسحق الموصلي شيء فأهدى له جارية فردها, فكتب إليه إسحق:

هتكـــت الضـــمير بـــرد اللطـــف وكشـــفت أمـــرك لي فانكشـــف

فـــإن كنـــت تحقـــد شـــيئا مضـــى فهـــب للخلافـــة مـــا قـــد ســـلف

وجـــد لي بالعفـــو عـــن زلـــتي فبالفضـــل تأخـــذ أهـــل الشـــرف

فلم يفعل فكتب إليه:

أتيـــــت ذنبـــــا عظيمـــــا وأنـــــت أعظـــــم منـــــه

فخـــــذ بحقـــــك أولا فـــــامنن بصـــــفحك عنـــــه

١٧- نهاية الأرب -لشهاب الدين النويري (المتوفي ٧٣٣ هـ)

طبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٧١٩٢٩

وأهدى ابن الحرون إلى بعض إخوانه أقلاما, وكتب إليه:

إنه لما كانت الكتابة –أبقاك الله– أعظم الأمور وقوام الخلافة, وعمود المملكة, أتحفتك من آلتها بما يخف حمله وتثقل قيمته, ويعظم نفعه ويجل خطره, وهي أقلام من القصب النابت في الصحراء الذي نشف بحر الهجير في قشره ماؤه. وستره من تلويحه غشاؤه, فهي كاللآلئ المكنونة في الصدف, والأنوار المجوبة في السدف, وتبرية القشور, درية الظهور, فضية الكسور, قد كستها الطبيعة جوهرا كالوشى المحبر, ورونقا كالديباج المنير.

***

قال ابن خفاجة وقد أهدى مهرا بهيما:

تقبل المهر من أخي ثقة ... أرسل ريحا به على المطر

مشتملا بالظلام من شية ... لم يشتمل ليلها على سحر

منتسبا لونه وغرته ... على سواد الفؤاد والبصر

تحسبه من علاك مسترقا ... بهجة مرأى وحسن مختبر

حن على راحة تفيض ندى ... فمال ظل به على نهر

ترى به والنشاط يحفزه ... ما شئت من فحمة ومن شرر

لو حمل الليل حسن دهمته ... أمتع طرف المحب بالسهر

أحمى من النجم يوم معركة ... ظهرا وأجرى به من القدر

اسود وابيض فعله كرما ... فالتفت الحسن فيه عن حور

فـــازدد ســـنا بهجـــة بدهمتـــه فالليـــل أذكـــى لغـــرة القمـــر

ومثـــل شـــكري علـــى تقبلـــه يجمـــع بـــين النســـيم والزهـــر

***

وقال ابن نباتة في فرس أدهم أغر محجل أهدى إليه:

قـد جـاءنا الطـرف الـذي أهديتـه هاديـــه يعقـــد أرضـــه بســـمائه

أولايـــــة وليتنـــــا فبعثتـــــه رمحـــا ســـبيب العـــرف عقـــد لوائـــه

تختـــال منـــه علـــى أغـــر محجـــل مـــاء الـــدياجي قطـــرة مـــن مائـــه

وكأنمـــا لطـــم الصـــباح جبينـــه فـــاقتص منـــه فخـــاض في أحشـــائه

مـــتمهلا والـــبرق مـــن أسمائـــه متبرقعـــا والحســـن مـــن أكفائـــه

مـــا كانـــت النـــيران يكمـــن حرهـــا لـــو أن للنـــيران بعـــض ذكائـــه

لا تعلـــق الألحـــاظ في أعطافـــه إلا إذا كفكفـــت مـــن غلوائـــه

* * *

أهـــــــدت إلى بنفســـــــجا أحبـــــب بمهديـــــة البنفســـــج

فكأنـــــه هـــــي في اللطـــــا فـــــة والـــــذكاء إذا تأرج

أوراقـــــه اللهـــــب المـــــط ل علـــى الذبالـــة حـــين تســـرج

أو إثـــــر قـــــرص مـــــؤلم في وجنـــــة الخـــــد المضـــــرج

وقال الميكالي فيه متفائلا به:

يا مهـــديا لي بنفســـجا أرجـــا يـــرتاح قلـــبي لـــه وينشـــرح

*بشـــــرني عـــــاجلا مصـــــحفه بأن ضـــــيق الأمـــــور ينفســـــح

وتطير آخر به فقال:

يا مهـــــديا لي بنفســـــجا سمجـــــا أود لـــــو أن أرضـــــه ســـــبخ

أنـــــذرني عـــــاجلا مصـــــحفه بأن عقـــــد الحبيـــــب ينفســـــخ

١٨- مطالع البدور في منازل السرور لعلاء الدين البهائي الغزولي (المتوفي ٨٢٥ هـ) الطبعة الأولى بمصر ١٣٠٠ هـ.

في الهدايا والتحف النفيسة الأثمان

ذكر ابن بدرون في شرحه لقصيدة ابن عبدون عند ذكر كسرى وبنائه للسور المذكور في الباب السادس من هذا الكتاب: "ولما بنى كسرى هذا السور هادته الملوك وراسلته, فمنهم ملك الصين كتب إليه: من يعفور ملك الصين صاحب قصر الدر والجوهر الذي يجري في قصره بهران يسقيان العود والكافور, والذي توجد رائحة قصره على فرسخين, والذي تخدمه بنات ألف ملك, والذي في مربطه ألف فيل أبيض على أخيه كسرى أنوشروان.

وأهدى غليه فارسا من در منضد, عينا الفارس والفرس من ياقوت أحمر, وقائم سيفه من الزمرد منضد بالجوهر, وثوبا حريرا صينيا وفيه صورة الملك على إيوانه وعليه حلته وتاجه, وعلى رأسه الخدم بأيديهم المذاب المصورة من ذهب تحمله جارية تغيب في شعرها يتلألأ جمالها. وغير ذلك مما تهديه الملوك إلى أمثالها" وكتب إليه ملك الهند: "من ملك الهند وعظيم ملوك الشرق وصاحب قصر الذهب وإيوان الياقوت والدر إلى أخيه كسرى أنوشروان ملك فارس صاحب التاج والراية. وأهدى إليه ألف من من عود

يذوب في النار كما يذوب الشمع, ويختم عليه كما يختم على الشمع, وجاما من الياقوت الأحمر فتحه شير مملوء من در, وعشرة أمنان كافور كالفستق وأكبر من ذلك, وجارية طولها سبعة أذراع تضرب أشفار عينيها إلى وجنتيها كأن بين أجفانها لمعان البرق مع إتقان شكلها مقرونة الحاجبين, لها ضفائر شعر تجرها وفراشا من جلود الحيات الين من الحرير وأحسن من الوشى.

وكان كتابه في لحاء الشجر المعروف بالكاذي مكتوب بالذهب الأحمر وهذا الشجر يكون بأرض الهند والصين, وهو نوع من النبات عجيب ذو لون حسن وريح طيبة تتكاتب فيه ملوك الصين والهند.

وكتب ملك التبت: من ملك التبتان ومشارق الأرض المتاخمة للصين والهند إلى أخيه المحمود السيرة والقدر ملك المملكة المتوسطة في الأقاليم السبعة كسرى أنوشروان.

وأهدى إليه أنواعا مما تحمل من عجائب أرض تبت: منها مائة جوشن ومائة ترس مذهبة وأربعة آلاف من المسك في نوافج غزلانية.

وأهدى يعقوب بن الليث الصفار خرسان على المعتمد هدية في بعض السنين, من جملتها: عشرة بزاة, منها بازي أبلق لم ير مثله, ومائة مهر, وعشرون صندوقا على بغال عشرة, فيهم طرائف الصين وغرائبه, ومسجد فضة برواقين يصلى فيه خمسة عشر إنسانا ومائة من مسك, ومائة من عود هندي وأربعة آلاف درهم.

***

وأهدت ملكة فرنجة على المكتفى بالله في سنة ثلاث تسعين ومائتين

خمسين سيفا وخمسين رمحا, وخمسين فرسا, وعشرين ثوبا منسوجا بالذهب, وعشرين خادما صقلبيا حسنا, وعشرة كلاب كبار لا تطيقها السباع, وست بازات, وسبعة صقور ومضرب حرير يجمع ثلاثة وعشرين ثوبا معمولا من صوف يكون في صدف يخرج من البحر يتلون بجميع الألوان كقوس قزح, يتلون كل ساعة لونا وثلاثة أطيار تكون في أرض فرنجة إذا نظرت إلى الطعام المسموم صاحت صياحا منكرا, وصفقت بأجنحتها ليعلم ذلك من حالها, وخرزا يجتذب النصول فتخرج من غير ألم. وقدم الرسول بكتابها وهديتها, وكان في فصل من كتابها: "وعرفت أن بينك وبين ملك قسطنطينية صلة, وأنا أوسع منه سلطانا, وأكثر جندا, وأشد سطوة, وملكي على أربع وعشرين مملكة لسانها لا يشبه الآخر, وفي مملكتي وطاعتي رومية الكبرى.

***

(ومن طرائف الهدايا) ما أهدته شجرة الدر جارية المتوكل, وكان يميل إليها ميلا كبيرا ويفضلها على سائر حظاياه. فلما كان يوم المهرجان أهدى إليه حظاياه هدايا نفيسة واحتفلن في ذلك, فجاءت شجرة الدر بعشرين غزالا مربية, عليهن عشرون سراجا صينيا, على كل غزال خرج صغير مشبك حرير فيه المسك والعنبر والغالية وأصناف الطيب, ومع كل غزال وصيفة بمنطقة ذهب وفي يدها قضيب ذهب في رأسه جوهرة. فقال المتوكل لحظاياه وقد سر بالهدية: ما فيكن من تحسن مثل هذا وتقدر عليه, فحسدنها وعملن على قتلها بشيء سقينه لها فماتت.

***

عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب أبو عبد الرحمن الأمير ولى المدينة للرشيد, ثم ولى الشام والجزيرة للأمين. وجه إلى الرشيد فاكهة في أطباق خيزران وكتب إليه: أسعد الله أمير المؤمنين وأسعد به, دخلت على بستان أفادنيه كرمك وغمرته لى نعمك قد أينعت أشجاره وتهدلت ثماره فوهبت على أمير المؤمنين من كل شيء شيئا على القدرة والإمكان في أطباق القضبان ليصل إلى من بركة دعائه مثل ما وصل إلى من بركة عطائه. فقال رجل: يا أمير المؤمنين, لم أسمع بأطباق القضبان. فقال: يا أبله كنى عن الخيزران بالقضبان إذ كان اسما لأمنا.

***

أنشدني في المجدي فضل الله بن مكانس وقد أهدى له والده تحفا جليلة:

تناهيت في برى على أن هديتني وقد كنت قبل في الغي ساريا

وأهديت لي ما حير الفكر حسنه فلا زلت في الحالين للعبد هاديا

***

وأهدى بعض ملوك الهند إلى الرشيد قضيب زمرد أطول من ذراع وعلى رأسه تمثال طائر ياقوت أحمر لا قدر له نفاسة, قوم هذا الطائر على حدته لمائة ألف دينار.

***

ودفع مصعب بن الزبير حين أحس بالقتل إلى مولاه زياد فصا من

الياقوت الأحمر, وقال له: انج بهذا, وكانت قيمته ألف ألف درهم. وسقط من يد الرشيد في ارض كان يتصيد فيها فاغتم لفقده, فذكر له فص ابتاعه صالح صاحب المصلى بعشرين ألف دينار, فأحضره ليكون عوضا عما سقط منه, فلم يره عوضا عنه.

***

ووهب المأمون للحسن بن سهل عقدا قيمته ألف ألف درهم, وقوم الجوهر الذي سلم من النهب عند فتنة المأمون بألف ألف ألف مائة ألف وستة عشر ألف درهم. ووجد في تركة السيدة بنت المعز العبيدي طست وإبريق من البلور, ومدهن ياقوت أحمر وزنه تسعة وعشرون مثقالا, وكان الناس يستعظمون الطست والإبريق إلى أن قبض على أبي مُحَمَّد اليازوري وزير المستنصر العبيدي, فوجد عنده تسعون طستا بأباريقها من صافى البلور وجيده كبارا وصغارا, فهان عليهم ما استعظموه.

وأهدى صاحب قلعة "اصطخر" إلى السلطان الملك العادل ألب أرسلان السلجوقي قدح فيه منوا مسك مكتوب عليه: "جم شاد" أحد ملوك الفرس الأول.

١٩- المستطرف في كل فن مستظرف للشيخ شهاب الدين أحمد الأبشيهي (المتوفي ٨٥٠ هـ) طبعة القاهرة ١٢٧٩ هـ.

(ذو الرياستين) الفضل بن سهل لأنه دبر أمر السيف والقلم, وولى رياسة الجيوش والدواوين, ودخل عليه شاعر يوم المهرجان وبين يديه الهدايا فقال:

اليـــــوم يـــــوم المهرجـــــان هـــــديتي فيـــــه اللســـــان

لـــــك دولتـــــان حديثـــــة وقديمـــــة ورياســـــتان

لـــك في الـــورى مـــن هاشـــم نبـــت وبيـــت خســـروان

علـــم الخليفـــة كيـــف أنـــت فصـــرت في هـــذا المكـــان

فأمر له بجميع الهدايا.

في ذكر الهدايا والتحف

قال الله تعالى (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) فسرها بعضهم بالهدية. وقال ﷺ: (تهادوا تحابوا فإنها تجلب المحبة وتذهب الشحناء).

وقال ﷺ: (الهدية مشتركة) . وقال ﷺ: (من سألكم بالله فأعطوه ومن استعاذكم بالله فأعيذوه ومن أهدى إليكم كراعا فاقبلوه) وكان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها ما هو خير منها. وفي الأثر: (الهدية تجلب المحبة إلى القلب والسمع والبصر).

ومن الأمثال إذا قدمت من سفر فأهد لأهلك ولو حجرا. وقال الفضل بن سهل: ما استرضى الغضبان ولا استعطف السلطان ولا سلبت السخائم, ولا دفعت المغارم, ولا استميل المحبوب, ولا توقى المحذور, بمثل الهدية. وأتى فتح الموصلي بهدية وهى خمسون ديناراً فقال حدثنا عطاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من أتاه الله رزقا من غير مسألة ورده فكأنما رده على الله تعالى) . وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية على عمر فردها

فقال: يا عمر لم رددت هديتي فقال ﷺ إني سمعتك تقول: (خيركم من لم يقبل شيئا من الناس) فقال يا عمر إنما ذاك ما كان عن ظهر مسألة فأما إذا من غير مسألة فإنما هو رزق ساقه الله إليك. وقالت أم حكيم الخزاعية سمعت رسول الله عليه وسلم يقول: (تهادوا فإنه يضاعف الحب ويذهب بغوائل الصدر) ويقال في نشر المهاداة طي المعاداة.

ذكر أنواع الهدايا للخلفاء وغيرهم ممن قصرت به قدرته

فأهدى اليسير وكتب معه مكاتبة يعتذر بها أهدى إلى سليمان بن داود عليهما السلام ثمانية أشياء متباينة في يوم واحد فيلة من ملك الهند, وجارية من نلك الترك, وفرس من ملك العرب, وجوهرة من ملك الصين, واستبرق من ملك الروم, ودرة من ملك البحر, وجرادة من ملك النمل, وذرة من ملك البعوض, فتأمل ذلك وقال: سبحان القادر على جمع الأضداد.

وأهدى ملك الروم إلى المأمون هدية فقال المأمون أهدوا له ما يكون ضعفها مائة مرة ليعلم عز الإسلام ونعمة الله تعالى علينا ففعلوا ذلك فلما عزموا على حملها قال: ما أعز الأشياء عندهم قالوا المسك والسمور قال وكم في الهدية من ذلك قالوا مائتا رطل ومائتا فروة سمور.

* * *

وأهدت قطر الندى إلى المعتضد بالله في يوم نيروز في سنة اثنتين وثمانين ومائتين هدية كان فيها عشرون صينية ذهب في عشرة منها مشام عنبر وزنها أربعة وثمانون رطلا, وعشرون صينية فضة في عشرة منها مشام صندل زنتها نيف وثلاثون رطلا, وخمس خلع وشى قيمتها خمسة آلاف دينار, وعملت

شمامات ليوم النيروز بلغت النفقة عليها ثلاثة عشر ألف دينار.

وأهدى يعقوب بن الليث الصفار إلى المعتمد على الله هدية في بعض السنين من جملتها عشرة بازات منها باز أبلق لم ير مثله, ومائة مهر, وعشرون صندوقا على عشر بغال فيهم طرائف الصين وغرائبه, ومسجد فضة بدرابزين يصلى فيه خمسة عشر إنسانا ومائة رطل من مسك ومائة رطل عود هندى وأربعة آلاف ألف درهم.

* * *

وأهديت تريا بنت الأوباري ملكة أفرنجة وما والاها إلى المكتفى بالله في سنة ثلاث وسبعين ومائتين, خمسين سيفا وخمسين رمحا وعشرين ثوبا منسوجا بالذهب وعشرين خادما صقلبيا وعشرين جارية صقلبية وعشرة كلاب كبار لا تطيقها السباع وستة بازات وسبع صقور ومضرب حرير متلون بجميع الألوان كلون قوس قزح يتلون في كل ساعة من ساعات النهار وثلاثة أطيار من الأطيار الإفرنجية إذا نظرت إلى الطعام أو الشراب المسموم صاحت صياحا منكرا وصفقت بأجنحتها حتى يعلم بذلك وخرزا يجلب النصول بعد نبات اللحم عليها بغير وجع وحمارة وحشية عظيمة الخلقة في قدر البغل وآذانها شبه آذان البغل وهي مخططة تخطيطا عاما لجميع خلقتها.

وأهدى قسطنطين ملك الروم على المستنصر بالله في سنة سبع وثلاثين وأربعمائة هدية عظيمة اشتملت قيمتها على ثلاثين قنطارا من الذهب الأحمر كل قنطار منها عشرة آلاف دينار عربية.

وحكى أن الخيزران جارية المهدي كانت أديبة شاعرة فعزم المهدي على

شرب دواء فأنفذت إليه جام بلور فيه شراب اختارته له مع وصيفة بكر بارعة الجمال وكتبت غليه تقول:

إذا خـــرج الإمـــام مـــن الـــدواء وأعقـــب بالســـلامة والشـــفاء

وأصـــلح حالـــه مـــن بعـــد شـــرب بهـــذا الجـــام مـــن هـــذا الطـــلاء

فيـــنعم للـــتي قـــد أنفذتـــه إليـــه بـــزورة بعـــد العشـــاء

فسر بذلك ووقعت بذلك ووقعت الجارية منه أعظم موقع وزار الخيزران وأقام عندها يومين.

* * *

وأهدى الصابي على عضد الدولة اسطرلابا في يوم المهرجان وكتب غليه يقول:

وأهـدى إليك بنو الأمـلاك واحتفلوا في مهرجـــان جديـــد أنـــت تبليـــه

لكـــن عبـــدك إبـــراهيم حـــين رأى سمـــو قـــدرك عـــن شـــيء يدانيـــه

لم يـرض بالأرض يهـديها غليـك وقـد أهـدى لـك الفلـك العلـى بمـا فيـه

* * *

وأهدى رجل على المتوكل قارورة ذهب وكتب معها: إن الهدية إذا كانت من الصغير على الكبير فكلما لطفت ودقت كانت أبهى وأحسن وإذا كانت من الكبير إلى الصغير فكلما عظمت وجلت كانت أوقع وأنفع.

***

وأهدى مرة أبو الهذيل إلى موسى بن عمران دجاجة وصفها له بصفات جليلة ثم لم يزل يذكرها وكلما ذكر شيء بجمال أو سمن قال هو أحسن وأسمن من الدجاجة التي أهديتها إليكم وإن ذكر حادث قال ذلك قبل أن أهدى لكم الدجاجة بشهر وما كان بين ذلك وبين إهداء الدجاجة إلا أيام قلائل فصارت مثلا لمن يستعظم الهدية ويذكرها. قال الشاعر:

وإن امـــرأ أهـــدى إلى صـــنيعة وذكرنيهـــا مـــرة للئـــيم

***

وقال سفيان الثوري إذا أردت أن تتزوج فأهد للأم وكان سفيان يروى عن ابن عباس رضى الله عنه: "من أهديت إليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها" فأهدى إليه صديق ثيابا من ثياب مصر وعنده قوم فذكروا الخبر فقال إنما ذلك فيما يؤكل ويشرب أما في ثياب مصر فلا. وكتب الحمدوني على جارية اسمها برهان وقد حج مواليها فقال:

حجـوا مواليـك يا برهـان واعتمـروا وقـد أتتـك الهـدايا مـن مواليـك

فـأطرفيني بمـا قـد أطرفـوك بـه ولا تكـن طـرفتي غـير المسـاويك

ولسـت اقبـل غـلا مـا جلـوت بـه ثنيتيـــك ومـــا رددت في فيـــك

وكتب بعضهم إلى صديقه وقد أهدى غليه هدية يسيرة يقول:

تفضـــل بالقبـــول علـــى إني بعثـت بمـا يقـل العبـد عنـدك

* * *

وأهدى بعضهم على صديقه هدية في يوم نيروز وكتب غليه يقول هذا

يوم جرت فيه العادة بألطاف العبيد للسادة, وقدر الأمير يجل عما تحيط به المقدرة, وفي سؤدده ما يوجب التفضل ببسط المعذرة, وقد وجهت ما حضر علما بأنه لا يستكثر ما جل, ولا يستقل لعبده ما قل, فإن رأى أن يتطول بقبول القيل كتطوله بإهداء الجزيل فعل, وجعل يقول:

رأيت كثير ما يهدى إليكم قليلا فاقتصرت على الدعاء

* * *

وبلغ الحسن بن عمارة أن الأعمش يقع فيه ويقول ظالم ولى المظالم فأهدى إليه هدية فمدحه الأعمش بعد ذلك وقال: الحمد لله الذي ولى علينا من يعرف حقوقنا. فقيل له كنت تذمه ثم الآن تمدحه فقال حدثني خيثمة عن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: (جبلت القلوب على حب من أحسن إليها, وبغض من أساء إليها) .

وقال عبد الملك بن مروان ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها: الكتاب يدل على عقل كاتبه, والرسول يدل على عقل مرسله, والهدية تدل على عقل مهديها. والله تعالى أعلم. وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفهرس

فاتحة الكتاب ٥

الباب الأول: في ذكر من أهدى هدية معها شعر ٩

الباب الثاني: في ذكر من أهديت إليه هدية فشكر عنها بشعر ٢٣

الباب الثالث: في ذكر من استدعى الهدية بشعر ٣٥

الباب الرابع: في ذكر من استهدى هدية بغير شعر ٥١

الباب الخامس: في ذكر شيء من أخبار الهدايا ٥٥

الباب السادس: في ذكر من ذم ما أهدي إليه نظما أو نثرا ٦١

الباب السابع: في ذكر من استهدى شيئا فمنع منه أو مطل به فذم واستبطأ بشعر ٦٥

الباب الثامن: في ذكر من لم يقبل الهدية ترفعا وردها تنزها ٧١

الباب التاسع: في ذكر شيء من أشعار من قصرت يده عن الهدية فاقتصر على الدعاء واعتمد على الشكر والثناء ٧٥

الباب العاشر: في ذكر شيء من هدايا ملوك الأطراف للسلطان ومكاتبتهم إياه ٧٩

الباب الحادي عشر : في ذكر هدايا النوكي وتحف المتخلفين ٨٥

ذيل الكتاب ٩٣